مكتبة مصر

الزعيم الأوحد



علي أحمد باكثير

الزعيم الأوحد

مسرحية فكاهية فى أربعة فصول

تأليف

علي أحمد باكثير

يطلب من :

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة

دار مصر للطباعة

٣٧ شارع كامل صدقى

تقديم

بقلم الأديب العراقى المجاهد الكبير الأستاذ هلال ناجى

فى ربيع عام ١٩٥٩ كانت القوميـة العربية فى العراق تخوض حربا ضارية ، تشـنها عليها قوى الاسـتعمار ، والشـيوعية ، والصهيونية ، والدكتاتورية ، متحالفة متكاتفة .

وكان عبد الكريم قاسم يمثل الدكتاتورية التى انحرفت بثورة العراق الجبارة المنبثقة صبيحة ١٤ تموز .

كما كان رمزا للشعوبية ولميراثها الطويل . .

وقد تعرض الفكر العراقى فى تلك الفترة لأبشـع ضروب الامتهان والارهاب والتزييف ، مارسها وحمل لواءها الشيوعيون والشعوبيون .

كان الأدباء الشـيوعيون والشعوبيون ، فى ظل حكم الزعيم الأوحد ، يشنون أقذر الهجمات على عروبتنا التقدمية الصاعدة .

وكان الأدباء القوميـون داخل العـراق محرومين من أبسط وسائل التعبير ، فضلا عما تعرضوا له من قتل وسجن وتشريد .

فى تلك الفترة السوداء من تاريخ عراقنا الحبيب ، نهد الأستاذ الكاتب المسرحى الكبير على أحمد باكثير ، بدافع من غيرته وعروبته الى كتابة هذه المسرحية الرائعة .

وكان هذا الاسهام منه فى معركتنا يمثل قمة من قمم الايمان القـومى الأصيل ، وكان تعبـيرا عن الوجدان العربى المتفتـح ، المتجاوب مع آلام هذه الأمة فى أرجاء وطنها الكبير .

وانى هنـا ، وباسم كل الأحرار العراقيين ، أشـد على يد مؤلفها وأحييه ، مكبرا فيه اخلاصه لفنه ولعروبته ولوطنه ، فى معاركنا الضـاربة ضد الاستعمـار ، والتبعية ، والرجعيـة ، والصهيونية . وأقول له ان الفجر لآت مهما حاول أعداء العروبة ، والخلود للقيم الفكرية الخالدة ، والمجد لأمتنا العربية الصاعدة .

هلال ناجى

بسم الله الرحمن الرحيم

للحقيقة والتاريخ :

هذه المسرحية كتبت فى مطلع صيف سنة ١٩٥٩ استجابة لدعوة المؤتمر القومى (المؤتمر العام للثقافة والفنون) الذى عقد فى دار الأوبرا بالقاهرة فى أواسط أبريل سنة ١٩٥٩ لمواجهة الخطر الشعوبى الذى استفحل إذ ذاك وأصبح يهدد قوميتنا العربية — لا فى العراق وحده حيث كان قاسم يذبح القوميين ويسحلهم ويعلق جثثهم بالآلاف — بل فى الوطن العربى كله .

وقدّمت — ومعركة المصير على أشدها — إلى المسرح القومى ، فأهملها المسرح القومى كعادته عاماً أو أكثر حتى انكشفت الغمة وانزاح ذلك الخطر العتيد . والحمد لله على ذلك .

وها هى ذى تقدم للمطبعة اليوم كما كتبت دون تحوير أو تبديل ؛ ليرى القراء ويعجبوا كيف أن الأقدار قد اختارت (للزعيم الأوحد) فى عالم الواقع نفس النهاية التى رسمتها له المسرحية منذ أكثر من ثلاثة أعوام ، مع اختلاف يسير للتفرقة بين المأساة والملهاة إن كان بينهما فرق !

المؤلف

أشخاص المسرحية

الحاج عبد المؤمن : صاحب المقهى

خديجة : زوجته

حسين : ابنه

فاطمة : ابنته

الشاعر القرندلى

قزمان : مساح الأحذية

مسعودة : زوجته

الزعيم الأوحد : (يقوم بدوره نفس الممثل الذى يقوم بدور قزمان

وحشى الياور

القرداوى

الحاجب : حاجب الزعيم الأوحد

سميث : ملحق عسكرى

جوردنيف : ملحق عسكرى

رئيس أمن العاصمة

شبلى } : شرطيان
حيدر }

الشاب : عضو المقارمة الشعبية

شبان وفتيات من المقاومة الشعبية

طائفة من رواد المقهى

الفصل الأول

مقهى الحاج عبد المؤمن الكردى فى بغداد ، البوفيه يقع فى أقصى الجانب الأيسر من المسرح ، وإلى جانبه باب يؤدى إلى داخل مسكن صاحب المقهى إذ يعتبر المسرح جزءا من هذا المسكن . أما باب المقهى الذى يدخل منه الرواد فيقع فى أدنى يمين المسرح .

المناضد والكراسى متناثرة فى وسط المسرح وأركانه ، وعلى الجدار فى صدر المسرح مسماران ثابتان تعلق عليهما صورتان كبيرتان .

يرفع الستار فنرى المقهى خاليا من الرواد ونرى الباب الأيمن الذى يدخل منه الرواد مغلقا ، وعلى الجدار صورتان إحداهما للرئيس جمال عبد الناصر والثانية لعبد السلام عارف .

ونرى الحاج عبد المؤمن جالساً إلى إحدى المناضد يحتسى قدحا من الشاى وزوجته خديجة ترفع ما بقى من أطباق الطعام كأنهما فرغا منذ قليل من تناول غدائهما (الوقت حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر) .

خديجة : كم الساعة الآن ؟

عبد المؤمن : (ينظر فى ساعته) ثلاثة .

خديجة : ثلاثة ولم تعد فاطمة بعد ! ليس من عادتها أن تتأخر هكذا .

عبد المؤمن : لعلها فى الطريق .

خديجة : أتقضى ساعتين فى الطريق ؟ إنهن يخرجن من المدرسة فى تمام الساعة الواحدة .

عبد المؤمن : لعل مظاهرة من هذه المظاهرات الملعونة اعترضتها فى طريقها فانتظرت حتى تستطيع أن تسير فى سلام .

خديجة : المظاهرات كل يوم ولم يحدث أن تأخرت هكذا قط .

عبد المؤمن : ماذا أصنع لك ؟ كان من رأيي أن تنقطع عن المدرسة حتى تنقضى هذه المحنة .

خديجة : تنقطع وهى فى السنة النهائية ؟

عبد المؤمن : وما الضرر ؟

خديجة : ستضطر إلى إعادة السنة من جديد .

عبد المؤمن : تعيد السنة .

خديجة : كلا يا حاج ، إن خطيبها لن يستطيع أن يصبر .

عبد المؤمن : إن أبى أن يصبر فلنزفها إليه من اليوم .

خديجة : والشهادة ؟

عبد المؤمن : تروح الشهادة ! أيريد أن يتزوجها هى أم يتزوج الشهادة ؟

خديجة : حرام أن تضيع منها وما بقى على الامتحان غير شهرين أو ثلاثة .

عبد المؤمن : شرف البنت وكرامتها أهم وأثمن .

خديجة : إن كنت تخشى من هذا فاطمئن . إنها بحمد الله فتاة عاقلة ولا يمكن أن تنخدع بهوس هؤلاء الشيوعيين .

عبد المؤمن : كثير من الفتيات انخدعن به يا خديجة . . حتى من الأسر الطيبة . إنه بلاء عام . وباء شديد العدوى .

خديجة : إلا فاطمة فإنى واثقة أنها محصنة . إنها تكره الشيوعية كره الموت ؛ لو سمعتها وهى تتحدث عن زميلاتها الشيوعيات ، لأدركت كيف تحتقرهن وتشمئز منهن .

عبد المؤمن : هكذا كان ابنك حسين فى أول الأمر ، ثم أصبح اليوم يتحدانى ويسب القرآن أمامى حتى جاءنى الضغط والسكر .

خديجة : ربنا يهديه يا عبد المؤمن . شاب طائش وغدا يعقل ويتوب .

عبد المؤمن : يتوب ؟ كيف يتوب وهو يرى نفسه الآن من القائمين بإصلاح العالم ؟

خديجة : ربنا قادر على هدايته .

عبد المؤمن : لم يعد يعنينى أمره على كل حال . كل خوفى الآن على فاطمة . سأموت كمدا يا خديجة لو انضمت هى الأخرى إلى المقاومة الشعبية وخرجت تهتف مع زميلاتها : « بعد شهر ما كومهر ! »

خديجة : حاش لله . مستحيل يا حاج مستحيل .

عبد المؤمن : اسمعى يا خديجة . لقد طاوعتك فيما مضى ولن أطاوعك بعد اليوم . لن تذهب بعد اليوم إلى المدرسة : سأحبسها فى البيت ولن تخرج منه إلا إلى بيت زوجها . أسمعت ؟

خديجة : طيب يا عبد المؤمن .. افعل ما تريد . بس أين هى الآن ؟ يجب أن تبحث عنها .. أن نطمئن على حياتها على الأقل .

(يدخل حسين مرتديا الزى الخاص بالمقاومة الشعبية وعلى صدره الشارة الخاصة وفى يده مدفع رشاش) .

خديجة : أدركنا يا حسين . ابحث لنا يا ولدى عن أختك فاطمة .

حسين : أبحث عنها ؟ لماذا ؟

خديجة : أخشى يا ولدى أن تكون أصابها مكروه .

حسين : (ببرود) عليها أن تنسجم مع الحركة الجديدة فلا يصيبها أى مكروه .

عبد المؤمن : ماذا تعنى ؟

حسين : تنضم إلى فتيات المقاومة الشعبية .

عبد المؤمن : اخسأ ! أترضى لأختك أن تتسكع فى الطرقات مثل هؤلاء الخليعات ؟

حسين : لا أسمح لك يا أبى أن تسب هؤلاء المتطوعات لخدمة الوطن .

عبد المؤمن : لخدمة الوطن ؟

حسين : يكفى أنهن يقمن بدورهن فى بناء المجتمع التقدمى الجديد .

عبد المؤمن : صحيح .. مجتمع تقدمى !!

حسين : من فضلك احتفظ بآرائك الرجعية لنفسك ، ولكن حذار أن تقولها أمامى فإنها خيانة .

عبد المؤمن : خيانة للعملاء الشيوعيين .

حسين : بل خيانة للوطن ، وتستحق عليها السحل والشنق .

خديجة : عيب يا حسين . أهذا كلام تقوله لأبيك ؟

حسين : ألم تسمعى ماذا قال ؟

خديجة : إنه والدك يجب أن تسمع كلامه أو على الأقل تحترمه.

حسين : أحترمه وهو يخون قضية الوطن وقضية السلام والديمقراطية ؟ يكفى أنى تسترت على خيانته حتى اليوم (ينظر إلى الصور المعلقة) . هذه الصور وحدها كافية لإدانته لو شئت .

عبد المؤمن : (غاضبا) اذهب فبلغ عنها . اذهب ماذا يمنعك ؟

حسين : كذا ؟ طيب

خديجة : كلا يا حسين إياك أن تفعل . إن والدك لا يعنى ما يقول .

عبد المؤمن : بل دعيه . دعيهم يقتلونى فالموت اليوم أصبح خيرا من الحياة .. أصبحنا نحن المتمسكين بقوميتنا خونة ، وأصبح العملاء الذين يعملون لحساب دولة أجنبية هم الوطنيين الشرفاء .

حسين : أشد ما يغيظنى منك أن تنخدع بالقومية العربية وأنت كردى لا تمت إلى العرب بصلة .

خديجة : لا حول ولا قوة إلا بالله (تنسحب إلى الداخل) .

عبد المؤمن : بل نحن عرب .. نحن عراقيون والعراق بلد عربى .

حسين : كيف تدعى أنك عربى وأصلك من الأكراد ؟

عبد المؤمن : يا جاهل . . إن القومية العربية ليست عنصرية ، فكل من يقيم فى الوطن العربى فهو عربى ولو كان أصله من الصين . هذا صلاح الدين الأيوبى من أصل كردى فهل كان إلا بطلا من أبطال العروبة والإسلام ؟ وهذا نورى السعيد يقال إنه من أصل كردى فهل كان إلا خائنا من خونة العرب ؟

حسين : هذا كلام لا سند له من العلم الصحيح . أما الواقع

فهو أن الأكراد غير العرب ، وعليهم أن يعملوا على تأسيس جمهورية كردية مستقلة تضم إليها مناطق من العراق وإيران وتركيا .

عبد المؤمن : لتكون لقمة سائغة فى فم الدب الأحمر ؟

حسين : ذلك خير لنا من أن تبتلعنا القومية العربية .

عبد المؤمن : ويلك كيف تبتلعنا القومية ونحن منها ؟ لقد عشنا مع العرب فى اندماج وتعاون طوال القرون ، واشتركنا جميعا فى تأسيس الحضارة العربية الإسلامية ، وكان منا الملوك والأمراء والقواد دون أى تفرقة بيننا وبينهم . أفإن جاء هؤلاء الملاحدة الطامعون يثيرون بيننا العنصريات ليجعلونا ضمن مناطق نفوذهم نستجيب لهم ليستعبدونا بعد أن كنا أحرارا ؟

حسين : بل يريدون تحريرنا لنكون أمة مستقلة .

عبد المؤمن : إنما يريدون تفتيت الأمة العربية ليقضوا على قوميتها الصاعدة ، لوقوفها فى طريق مطامعهم ، فأخذوا يثيرون العنصريات ويقولون أنتم أكراد وأنتم فراعنة وأنتم فينيقيون وأنتم بربر . هكذا كان يفعل الاستعمار وهم يحذون حذوه لأنهم يهدفون إلى استعمار من نوع جديد . ولكن المارد العربى قد انطلق ولن يستطيعوا إعادته إلى القمقم ولو اجتمع الشرق والغرب .

حسين : لكننا لن نسمح لهذا المارد أن يأكلنا بعد اليوم .

عبد المؤمن : هذا المارد لن يأكل غير العملاء منا والخونة . أما المخلصون فهم كالخلايا الحية فى جسمه ، فكيف يأكل المارد نفسه ؟

(تعود خديجة بطبق من الطعام)

حسين : كلا . هذا المارد عدونا وليس منا .

عبد المؤمن : لأنك من العملاء الخونة .

حسين : سنرى غداً أينا الخائن أنا أم أنت !

عبد المؤمن : أتهددنى يا كلب ؟

خديجة : أوه كفاية . خذ ياولدى كل . لابد أنك جائع .

حسين : طيب هاتى . (يلتهم الطعام بشراهة)

خديجة : (لزوجها) وقم أنت ياسيدى لصلاة العصر .

عبد المؤمن : (ينظر فى ساعته فينهض) يارب ياكاشف الخطوب . يا مفرج الكروب . (يخرج)

حسين : (يشير إلى الصور المعلقة) ها هى ذى الخطـــوب والكروب .

خديجة : (تنهره) بس يا حسين .

حسين : لقد آن أن تفتحوا المقهى لتبعدوا هذه الصور البغيضة .

خديجة : ربنا يهديك . بودنا يا ولدى لو يبقى المقهى مقفلا طول الوقت .

حسين : لماذا ؟

خديجة : لئلا نضطر إلى تعليق الصور التي نكرهها .

حسين : أنت يا أمي معذورة لأنك جاهلة لا تفقهين شيئا ..

(يسمع قرع على الباب الخارجي)

حسين : ألم أقل لكم ؟ ها هم الرواد قد أقبلوا .

صوت : (من الخارج) ياحاج عبد المؤمن . افتح .

خديجة : هذا صوت ذلك الشاعر المخبول قد حضر ليكتب الشعر . ساعدني ياحسين . أنزل هاتين الصورتين

(تخرج منطلقة من الباب الأيسر . ينزل حسين الصورتين وهو ينظر إليهما في حقد)

(تعود خديجة بصورتين لقاسم وفهد وتناولهما لحسين)

خديجة : خذ علقهما ثم افتح الباب .

حسين : كان ينبغي على صاحب المقهى أن يعلقهما بنفسه .

خديجة : ياولدي إنه يصلي الآن . (تأخذ صورتي جمال وعارف فتخرج بهما)

حسين : لا بأس أن يكون لي هذا الشرف . (يعلق الصورتين ثم يفتح باب المقهى)

(يدخل الشاعر القرندلي وهو كهل في حدود الخمسين ، منكوش الشعر ، يرتدي بذلة رمادية اللون ويتدلى من عنقه رباط أحمر صارخ الحمرة يكاد يملأ مفرج البذلة من صدره ويتأبط حقيبة أوراق) .

الشاعر : (محييا) رفيق حسين : نهارك سعيد .

حسين : مرحبا بشاعر الجماهير . أهلا بشاعر الديمقراطية .

الشاعر : (ينظر إلى الصورتين فيحنى رأسه لكل واحد منهما كأنه يحييهما)

الزعيم الأوحد . الرفيق فهد . أعظم رجلين فى العالم .

(يتجه إلى ركنه فى أقصى يمين المسرح فيجلس وهو يتمتم) ما أجمل هذا الهدوء . الآن ينزل وحى الشعر سلسلا من سلسل كما يقول شوقى شاعر الملكية والإقطاع والبرجوازية .

حسين : هل يصح أن نسميه شاعرا وهو برجوازى ؟

الشاعر : معذور . . ابن بيئته وزمنه . أنا واثق أنه لو حضر عهدا كالعهد الذى نعيش فيه لأصبح شاعر الجماهير .

(تنظر خديجة فى البوفيه فيومىء لها الشاعر بالتحية) قدحا من الشاى يا أم حسين . على المزاج الذى تعرفين ؟ أين الحاج عبد المؤمن ؟ نائم بعد ؟

خديجة : نعم .

حسين : (فى سخرية) بل قائم يصلى !

الشاعر : يصلى ! يصلى الظهر أم العصر ؟

حسين : العصر .

الشاعر : مسكين ! الآن يصلى العصر . وقبل قليل كان يصلى

الظهر . وبعد قليل يصلى المغرب . ثم العشاء . كل وقته يضيع فى الركعات والسجدات . متى إذن يعمل ؟

حسين : ساعة النوم عندما يحلم !.

الشاعر : (يضحك) نحن اليوم فى حاجة إلى كل دقيقة من وقتنا لنبنى مجتمعنا التقدمى الجديد .

حسين : قل لهم . إنهم لا يدركون هذه الحقائق كأنما لا يعيشون فى هذا البلد.

الشاعر : مساكين . . معذورون مثل الشاعر شوقى تماما .

حسين : لكن والدى حضر هذا العهد التقدمى الديمقراطى ولم يمت مثل شوقى .

الشاعر : أين تدرس الآن ؟ فى أى كلية ؟

حسين : فى كلية الحقوق .

الشاعر : لو وسعت ثقافتك قليلا ولم تقتصر على القانون لعلمت أنه يوجد فى الطبيعة حتى يومنا هذا حيوانات متخلفة كان ينبغى أن تنقرض من عصور سحيقة . خذ السلحفاة مثلا كيف تعيش حتى اليوم فى عصر الذرة وغزو الفضاء . . سخف من الطبيعة لا ريب . أو إذا جارينا المؤمنين قلنا لعل للطبيعة جل جلالها حكمة فى ذلك .

حسين . السلحفاة لا تستطيع أن تتطور ووالدى يستطيع لو أراد ، ولكنه لا يريد وهذه هى المحنة .

الشاعر : كلا يا بنى لو درست الفلسفة قليلا لعلمت أنه لايوجد فرق كبير بين الإرادة والقدرة ، ولا بين العجز وعدم الرغبة .

حسين : كيف ؟

الشاعر : هذا كلام يطول شرحه . دعنى الآن أبدأ فيما جئت من أجله . . أستنزل الوحى من إله الشعر .

حسين : (مستنكرا) إله الشعر . . أليس هذا وهما من الأوهام ؟

الشاعر : الإغريق قوم ظرفاء ، اتخذوا لهم آلهة لا يحصيها العد هى عندهم رموز لقوى الطبيعة المختلفة . هذا وهم لاشك ولكنه معقول مقبول . أما المؤمنون بإله واحد هو الذى خلق العالم وخلق كل شىء فما أحوجهم إلى الفلسفة الجدلية المادية لكنس هذا الوهم من عقولهم ، حتى يكونوا جديرين بالحياة فى هذا العصر ، عصر العلم والنور !

حسين : كلام نفيس !

الشاعر : ولكننا نعود فنقول : لم لا يعيش هؤلاء فى هذا العصر ؟ أليست السلحفاة مثلهم تعيش ؟

(تقبل خديجة بقدح الشاى فتضعه على منضدة الشاعر وتنسحب)

حسين : لكن يا سيدى الشاعر . . .

الشاعر : ضاع الوقت يابنى ولم أكتب بعد شيئا . (يخرج أوراقه)

حسين : أتركك إلى وقت آخر ؟

الشاعر : لو سمحت . (يحتسى الشاى ويبسط أوراقه ويخرج قلمه ليكتب) .

(يتوجه حسين نحو والدته مختالا كأنه يقول لها : هل سمعت ما دار بيننا من حديث تقدمى لا تفقهين منه شيئا ؟ ثم يخرج) .

(يدخل قزمان مساح الأحذية حاملا عدته فلا يجد غير الشاعر فيقبل نحوه ، ولكن الشاعر لا يرفع بصره عن أوراقه وإنما يمد حذاءه أمامه إشارة إلى أنه يرغب فى مسحه ، فيجلس قزمان ويباشر عمله فى تلميع حذائه دون كلام) .

(يسمع حس أناس قادمين فيبدو الضيق فى وجه الشاعر ولكنه يتجلد)

(يظهر على الباب ثلاثة من الشبان فى زى المقاومة الشعبية فينادون)

حسين ! حسين عبد المؤمن ! . حسين !

حسين : (يدخل من الباب الأيسر) أهلا . . أهلا .

الثلاثة : هيا بنا يا حسين . . أمامنا اليوم عمل كثير . .

حسين : ما عملنا اليوم ؟

أحدهم : علينا أن نفتش المارة فى جسر الكرخ .

حسين : والمارات ؟

الثانى : المارات أوجب وألزم .

الثالث : وألذ وأنعم .

(حسين يتذكر وجود الشاعر فيؤمىء إليه كأنه يوصيهم بالسكوت)

الثلاثة : (يتهامسون بينهم) القرندلى . . شاعر الجماهير . . شاعر السلام العظيم ، شاعر الديمقراطية . (ينظرون إليه فى احترام ثم يخرجون مع حسين متسللين فى هدوء)

الشاعر : (يتبعهم بصره وهم خارجون ويتمتم فى إعجاب بنفسه) معروف تماما للجميع من كل الطبقات مثل ما كسيم جوركى فى الاتحاد السوفييتى — كلا كلا لا أقصد جوركى . . . جوركى ليس بشاعر . أقصد ذاك الذى اسمه . . . الله يلعنه . . دائما أنساه . اسمه . . اسمه . .

قزمان : مياكوفسكى ياسيدى ؟

الشاعر : برافو ! . مياكوفسكى . . كيف عرفته ؟

قزمان : سمعته منك يا سيدى . . كثيرا ما تردد اسمه .

الشاعر : (يظهر فى وجهه السرور) مدهش ! قد أصبح رجل الشارع عندنا يعرف أسماء شعراء الواقعية الاشتراكية ولما يمض على انقلابنا التقدمى غير قليل . . تقدم عظيم . نجاح رائع

(يدقق النظر فى وجه قزمان فيعروه الدهش)
عجيب .. غريب ..
(يشيح بوجهه عنه ويحرك يديه حول رأسه كأنه يطرد من ذهنه فكرة غير مستحبة ولكنه يعود فيسارقه النظر من خلال نظارته الغليظة) عجيب .. غريب ..

قزمان : قلت لك إنى سمعت اسمه منك ياسيدى فلا داعى للاستغراب .

الشاعر : صحيح لا داعى للاستغراب .. فى الطبيعة أسرار لا تحصى وفى النفس الإنسانية كذلك . (يعود إلى النظر فى أوراقه وإلى عصر قريحته ولكنه لايلبث أن يخالسه النظر مرة أخرى) عجيب .. غريب ..

قزمان : ما وجه الغرابة يا سيدى .. ؟

الشاعر : (بصوت جازم كأنه يريد أن يضع حداً لهذه الحيرة والبلبلة) اسكت لا تشغلنى عن إلهامى .

(تدخل فاطمة مسرعة فى فزع واضطراب وهى تستغيث)

فاطمة : بابا بابا .. ماما ماما .. الحقونى .

(يهرع عبد المؤمن وزوجته نحوها)

الأبوان : ماذا بك يا فاطمة .. ماذا جرى ؟

فاطمة : (تلهث) يردن قتلى .. الفتيات .. الشيوعيات ..

(تخرج منطلقة من الباب الأيسر)

(تدخل ثلاث فتيات عليهن شارات المقاومة الشعبية)

الفتيات : أين الخائنة ؟ سلموا إلينا الخائنة .

خديجة : من ؟ فاطمة ؟

الفتيات : نعم فاطمة عبد المؤمن .

خديجة : (فى توسل) ماذ فعلت ؟

الفتيات : متهمة بالخيانة خيانة الدولة .

خديجة : يا ويلى . . فتاة صغيرة كهذه تخون الدولة ؟

الفتيات : سلميها إلينا فى الحال وإلا اتهمناك أنت أيضا بالتستر على الخيانة .

خديجة : أسلمها إليكن لتقتلنها؟

الفتيات : كلا لن نقتلها . . سنحاكمها أولا . اطمئنى سيأخذ العدل مجراه .

خديجة : وأين تردن محاكمتها . فى محكمة القرداوى ؟

الفتيات : بل فى محكمة المدرسة .

خديجة : المدرسة . . أتنن من مدرستها . . من مدرسة فاطمة ؟

الفتيات : نعم .

خديجة : بناتى العزيزات . . أليس فى قلوبكن رحمة ؟ تقبضن على زميلة لكن ؟

الفتيات : الخيانة لا تستحق الرحمة . . أمن الدولة فوق كل اعتبار .

خديجة : أمن الدولة . هل يخشى على الدولة بجلالة قدرها من فتاة ضعيفة كفاطمة ؟

الفتيات : التخريب لا يقوم به غير الضعاف وهم أخطر على الدولة من الأقوياء. التخريب السرى يجب القضاء عليه بلا رحمة ولا شفقة.

(يظهر عبد المؤمن فيأخذ بيد امرأته وينحيها عن طريقه، وكان قد أعد ثلاث زجاجات من الكولا وشيئا من الشطائر فيتقدم إلى الفتيات فى لطف).

عبد المؤمن : مرحبا بكن يا بناتى .. أنتن تعملن للصالح العام لصالح الدولة فيجب اكرامكن وشكركن. هل لكن أن تجلسن ؟

الفتيات : (ينظرن إليه متعجبات) . !!

عبد المؤمن : اجلسن أولا ثم أسلم فاطمة إليكن إن كانت خائنة.

(ينظر بعضهن إلى بعض ثم يرضخن ويجلسن ويأكلن ويشربن)

عبد المؤمن : (بصوت خافض) هذا شاعر الجماهير يكتب هناك.

الفتيات : (يلتفتن نحوه) شاعر الجماهير. شاعر الديمقراطية. القرندلى.

عبد المؤمن : نعم .. لا يكتب قصائده الوطنية الطنانة إلا عندنا هنا.

الفتيات : أنت والد فاطمة ؟

عبد المؤمن : وليس لى غيرها. إن كانت أخطأت فسامحنها من أجلى .. من أجل أبيها الشيخ المسكين. وأنا أتعهد لكن بأنها لن تعود إلى حماقتها مرة أخرى.

الفتيـات : ألا تعلم ما ذنبها؟ إنها امتنعت عن لعن القومية العربية .

عبد المؤمن : يا بناتى إنها من أصل كردى فهى تخشى إن لعنت القومية العربية أن تغضبكن لأنكن عربيات .

الفتيـات : نحن لا نعنى القومية العربية المتحررة ، بل نعنى القومية الناصرية الرجعية .

عبد المؤمن : هى جاهلة لا تستطيع التمييز بين هذه وتلك ، ولكنى أعدكن أننى سأعلمها كل شىء .

الفتيـات : تتعهد أنت بذلك ؟

عبد المؤمن : نعم .

(تؤمىء إحداهن إلى الصورتين الملصقتين فيتطلعن جميعا إليهما) .

إحداهن : والدها مخلص للزعيم الأوحـد وللديمقراطيـة والسلام ، فلنسامحها هذه المرة من أجله . (تنهض فتنهض الأخريات ثم ينسحبن ويخرجن)

(يدخل الرواد ويتكاثرون حتى يكاد يمتلىء بهم المقهى وعبد المؤمن يقدم لهم ما يطلبون ، فهذا يشرب الشاى وهذا يشرب القهوة وهذا يلعب الطاولة مع زميله ، والجميع يتلفتون يمنة ويسرة أول ما يدخلون وإذ لا يرون غير الشاعر المستغرق فى وحيه يطمئنون قليلا فيتهامسون أو يتكلمون بصوت خافض ، بينما نرى قزمان يتنقل من حذاء إلى حذاء جادا فى عمله) .

(يدخل شرطيان فينقطع الكلام فى المقهى ما عدا ثلاثة جلساء لم يلحظوا دخولهما فبقوا يتحدثون فى أحد الأركان فيدنو الشرطيان منهم) .

الشرطيان : (للثلاثة فى غلظة) فيم تتهامسون أيها الخونة ؟

بعضهم : (فى رعب) ما كنا نتهامس بل كنا نتحدث .

الشرطيان : فيم كنتم تتحدثون ؟

الثلاثة : فى شئوننا الخاصة .

الشرطيان : بل كنتم تطعنون فى زعيمنا الأوحد .

الثلاثة : أبدا والله .

الشرطيان : فما بالكم تتحدثون بصوت خافض ؟

(يرتبك الثلاثة قليلا ثم يومئ أحدهما إلى جهة الشاعر)

الأول : هذا شاعر الجماهير يستوحى الشعر .

الثانى : فرأينا ألا نزعجه ونقطع وحيه .

(ينظر الشرطيان إلى الشاعر ويبدو عليهما الاقتناع بمنطق الجلساء فيكفان عنهم وينتحيان جانبا من المقهى فيجلسان) .

(يتسلل فى خلال ذلك شاب عليه شارة المقاومة الشعبية فيجلس خلف الشرطيين دون أن يلحظاه) .

(يتكلم رواد المقهى منذ الآن بصوت عال كأنهم يتعمدون أن تسمع أصواتهم لجميع الحاضرين) .

الشاعر : (ينزعج ويتضايق كلما سمع صوتا عاليا من أحد الأركان) تبا لكم . لقد أطرتم الوحى من رأسى .

ألا تستطيعون أن تتكلموا كبنى آدم المهذبين ؟
(ينظر الرواد إليه آسفين ويسكتون قليلا ، ثم يعودون إلى الكلام بصوت عال) .

الشاعر : يا غيظى . . يا نارى . . أكلام هذا أم صياح . ؟
كيف أكتب شعرى فى هذا الضجيج . ؟ (يرمى القلم من يده ويطبق أوراقه فى غضب ثم ينادى صائحا)
يا عبد المؤمن . . يا حاج عبد المؤمن .

عبد المؤمن : (يقبل إليه مسرعا) نعم يا سيدى الشاعر .

الشاعر : ألا تسكت لى هؤلاء الصخابين ؟

عبد المؤمن : لا أستطيع يا سيدى .

الشاعر : لا بد أنهم قوميون خونة . . يريدن أن يشوشوا على لئلا أكتب قصيدة جديدة فى الديمقراطية والسلام .

عبد المؤمن : كلا ليس من رواد قهوتنا خونة . كلهم من الرجال الشرفاء . . (بلهجة ذات معنى كأنه يلفت نظره إلى سبب الضجيج) انظر . حتى السادة رجال الأمن يشرفون القهوة .

الشاعر : (بعد صمت قصير) خذنى إذن إلى مكان هادىء داخل بيتك لأكمل قصيدتى . إنها مطلوبة الليلة فى محكمة الشعب .

عبد المؤمن : لكن فى البيت أهلي يا سيدى الشاعر .

الشاعر : أتخاف أن آكلهم عليك ؟ إنى شاعر فنان . . ألا تعرف مقام الفنانين والشعراء فى الدول الديمقراطية ؟ غدا عندما تستقر الأوضاع فى هذا البلد ستنشئ لنا الدولة بيوتا للراحة والإنتاج ، فلا أحتاج إلى الجلوس فى قهوتك الحقيرة .

عبد المؤمن : لكن يا سيدى . .

الشاعر : أتسمح لى بالدخول أم أرفع أمرك إلى رئيس محكمة الشعب ؟

عبد المؤمن : طيب . . تفضل يا سيدى . . تعال معى .

(يجمع الشاعر أوراقه فيخرج خلف عبد المؤمن من الباب الأيسر)

(يستمر الرواد فى الكلام بصوت عال ولكنهم بدأوا يتسللون من المقهى)

(فى خلال ذلك كان الشرطيان يتهامسان ويتطلعان إلى قزمان وهو يمسح حذاء أحد الرواد ومن خلفهما الشاب عضو المقاومة الشعبية يرقبهما تارة ويرقب قزمان تارة أخرى)

الشرطى الأول : انظر جيـــدا ألا ترى وجهه يشبه وجه الزعيم الأوحد ؟

الثانى : بالضبط . كأنه هو .

الأول : دسيسة قذرة من القوميين !!

الثانى : دسيسة ؟

الأول : أوعزوا إلى هذا المساح أن يلبس هذا القناع على وجهه إهانة للزعيم الأوحد وسخرية به .

الثانى : لكن أتعتقد أن هذا قناع ؟

الأول : لا شك .

الثانى : إنه إذن لقناع متقن .. لقد رأيت كثيرين من الممثلين يلبسون الأقنعة على وجوههم ولكنى لم أر قط مثل هذا الإتقان فى المحاكاة .

الأول : سأدعوه الآن ليمسح حذائى وسنقطع الشك باليقين.

(يومئ لقزمان فيقبل قزمان وهو خائف وجل لأنه كان قد شعر بتهامسهما . يجلس قزمان ويأخذ فى مسح حذاء الشرطى الأول)

الأول : (بصوت خافض) اسمع يا هذا قد اكتشفنا سرك .

قزمان : (مرتاعا) أى سر يا سيدى ؟

الأول : القناع الذى على وجهك .

قزمان : قناع ؟ أى قناع ؟

(يمد الأول يده إلى وجه قزمان يتحسسه ليتأكد من حقيقته ، فلما أدرك خطأ ظنه نظر إلى زميله فى دهش ثم طفقا يتضاحكان)

(يفرغ قزمان من مسح الحذاء فينهض)

قزمان : (للشرطى الثانى) أمسح لك يا سيدى ؟

الثانى : (مستمراً فى ضحكه) لا يا سيدى وشكرا .

(ينسحب قزمان إلى حيث يجلس أمام الباب الخارجى)
(ينهض الشاب عضو المقاومة الشعبية من مقعده ويقف أمام الشرطيين فيمتقع وجههما ويكفان عن الضحك وينهضان واقفين)

الشاب : لم كنتما تضحكان ؟

الشرطيان : تفضل يا سيدى نقدم لك شيئا . . شايا أو قهوة .

الشاب : (فى غلظة) رشوة لأسكت عنكما ؟

الشرطيان : معاذ الله يا سيدى . . نحن من شرطة العاصمة .
(يخرجان له بطاقتيهما)

الشاب : (ينظر فى البطاقتين باحتقار ويخرج مذكرة من جيبه فينقل من البطاقتين بعض البيانات ثم يعيد المذكرة فى جيبه) الشرطة لا ينبغى أن يرتكبوا ما ارتكبتماه .

الشرطيان : (فى فزع) ماذا ارتكبنا يا سيدى ؟

الشاب : تسخران فى مكان عام بأقدس شخصية فى البلاد . . بالزعيم الأوحد .

الشرطيان : ماذا تقول يا سيدى ؟

الشاب : ما دعوتما هذا الرجل ليمسح لكما إلا عندما لحظتما أنه يشبه الزعيم الأوحد ، ثم أخذتما تضحكان إمعانا فى الهزء والسخرية .

شبلى : لا والله يا سيدى ، إنما كنا نضحك لنكتة رواها زميلى هذا .

الشاب : ما هى النكتة ؟

شبلى : اروها له يا حيدر .

حيدر : (متلعثما) لكن . .

شبلى : ارو النكتة . .

حيدر : لا يصح يا سيدى أن تروى لمثلك .

الشاب : لماذا ؟

حيدر : لأنها . . لأنها غير لائقة .

الشاب : عن الزعيم الأوحد . . ها ؟

حيدر : كلا والله المعبود وحياة زعيمنا الأوحد ما كانت النكتة عنه .

شبلى : (لينقذ الموقف) إنها يا سيدى عن معاوية ابن أبى سفيان . يحكى أنه مر ذات يوم على فلاح جالس أمام ساقية يديرها حمار له قد علق على عنقه جلاجل . فسأله معاوية . . لماذا وضعت الجلاجل فى عنق الحمار ؟ فأجاب قائلا : وضعت الجلاجل يا أمير المؤمنين لينبهنى انقطاع صوتها إلى أن الحمار قد وقف عن الدوران فأضربه بالسوط . فقال معاوية : هب الحمار وقف فى مكانه وأخذ يحرك عنقه فكيف تعرف ؟ فقال الفلاح . سبحان الله يا أمير المؤمنين ! من لى بحمار يكون له مثل عقلك ؟!

(يتكلف الشرطيان الضحك)

الشاب : (فى برود) هذه نكتة لا تضحك . نكتة قديمة .

شبلى : ولكنها جديدة عندى . لم أسمعها من قبل .

الشاب : وزميلك هذا ألم يكن يعرفها ؟

شبلى : بالطبع يا سيدى فهو الذى رواها لى .

الشاب : كيف إذن ضحك ؟

شبلى : ضحك يا سيدى مشاركة لى .

الشاب : لا تحاولا خداعى . . إنما ضحكتما من ذلك الرجل المساح .

شبلى : كلا يا سيدى ليس فى هذا الرجل ما يضحك .

الشاب : هذه ألعن من الأولى . . كأنكما تقصدان ألا فرق بين الشبيهين فى المقام وأن أحدهما يصلح أن يحل محل الآخر .

حيدر : أعوذ بالله يا سيدى . . هذا فظيع لا يمكن أن يخطر على بالنا أبداً .

الشاب : لا تحسبانى مغفلا . . إنى أقرأ الممحى .

شبلى : لكن يا سيدى .

الشاب : هـــذا دليل جديد على أنكم معشر الشرطة لا تصلحون لحفظ أمن الدولة ، وأننا نحن أفراد المقاومة الشعبية أولى به منكم ، أتنكرون هذه الحقيقة ؟

حيدر : لا ننكر يا سيدى أنكم أكفأ منا ، ولكنا سنعمل معكم ونعاونكم فى العمل .

الشاب : كلا لا نريد معونة الخونة . . من واجبنا أن نستأصل شأفة الخونة .

حيدر : لكن لسنا من الخونة . اسأل عنا فستجدنا من أشد المخلصين لزعيمنا الأوحد . .

الشاب : بعد ما شاهدت خيانتكما بنفسى ؟ إن واجبى الآن أن أبلغ لا أن أسأل .

شبلى : دخيلك ياسيدى لاتجعلهم يرتابون فينا ونحن بريئان .

الشاب : لو كنتما بريئين لما خفتما من التبليغ .

شبلى : يا سيدى إن أقل تهمة تكفى لخراب بيوتنا .

حيدر : ارحمنا يا سيدى عندنا أهل وأولاد .

الشاب : لا تضيعا وقتى فى هذا الجدل الفارغ . حقا إنكما لغبيان ! !

شبلى : (يدرك مغزى قوله فيخرج بطاقته من جديد ويطوى فيها بعض الأوراق النقدية) هذه بطاقتى يا سيدى . . الفحصها مرة أخرى لتتأكد من صدقى . .

الشاب : (يتناول البطاقة ويسحب منها الأوراق النقدية خلسة ويعيدها لشبلى) صحيح . بطاقتك سليمة . (لحيدر) وأنت ألا ترينى بطاقتك أيضا ؟

(يفعل حيدر مثل ما فعل شبلى ويفعل الشاب معه مثل ما فعل مع شبلى) .

الشاب : بقى سؤال أخير .

الشرطيان : ماذا أيضا يا سيدى ؟

الشاب : هل كنتما تبحثان عن شيء هنا فى هذا المقهى ؟

الشرطيان : لا يا سيدى . . إنما دخلنا لنشرب الشاى .

الشاب : ولماذا اخترتما هذا المقهى بالذات ؟

شبلى : اتفق أنه كان فى طريقنا يا سيدى وليس عن اختيار .

الشاب : بمحض الصدفة ؟

الشرطيان : نعم بمحض الصدفة .

الشاب : إن شئتما ألا أبلغ عنكما فانصرفا الآن ولا تحكيا السيرة لأحد .

الشرطيان : شكرا يا سيدى (يدفعان حسابهما عند البوفيه ثم يخرجان مسرعين)

الشاب : (يعود إلى مكانه وهو يتمتم) عظيم . . سيكون لى وحدى فضل اكتشاف هذا الرجل .

(ينظر إلى قزمان ويومئ له أن أقبل فيقبل قزمان يرتجف خوفا)

قزمان : أمسح لك يا سيدى ؟

الشاب : امسح . . (يجلس قزمان ليمسح) كلا . . لا تمسح . . لا داعى للمسح .

قزمان : لماذا يا سيدى ؟ سأمسح لك دون مقابل . .

الشاب : (فى ارتياب) دون مقابل ؟

قزمان : (يحاول التغلب على خوفه) أنا أمسح لأفراد المقاومة الشعبية مجانا .

الشاب : لماذا ؟

قزمان : لأنى أحبهم يا سيدى لوجه الله . . إنهم يقومون بأعظم خدمة للبلد وللديموقراطية والسلام .

الشاب : (فى ارتيابه بعد) صحيح ؟

قزمان : (خائفا بعد كما هو) على كل مواطن ياسيدى أن يقدم ما يستطيع فى خدمة البلد وتأييد الزعيم الأوحد . (يتضاحك) وخدامك لا يحسن غير مسح الأحذية .

الشاب : (فى بشاشة ولطف) يبدو لى أنك تحسن شيئا آخر . .

قزمان : (يزول عنه الخوف ويطمئن) أبدا والله . . هذه مهمتى . . المهمة الوحيدة التى أتقنها . . هات ياسيدى أعطنى رجلك .

الشاب . (بصراحة غير متوقعة) كلا لا تمسح (يسحب قدمه بشدة)

قزمان : لماذا ياسيدى . . إنى اجيد المسح .

الشاب : (بغلظة) لا أريد أسئلة . .

قزمان : (فى ذلة) حاضر ياسيدى . . سأقوم . .

الشاب : انتظر . .

قزمان : غيرت رأيك ياسيدى ؟ أمسح لك ؟

الشاب . أنا لا أغير رأيى . الزعيم الأوحد لا يصح أن يتخذ مجالا للسخرية .

قزمان : (يرتجف خوفا) ومن الملعون الذى يجرؤ ياسيدى على ذلك ؟

الشاب : أنت !

قزمان : أنا ؟ أنا ياسيدى ؟ أنا ؟

الشاب : نعم .

قزمان : مستحيل ياسيدى . . لا يوجد فى الدنيا كلها من يحب الزعيم الأوحد أكثر منى . . إنى أذكره ليلا ونهارا وأحتفظ بصوره فى بيتى كأنها صورى . . انظر إلى وجهى ألا ترى أن الله قد جعلنى على صورته . . ؟

الشاب : صه . . اخفض صوتك .

قزمان : حتى زوجتى تدعونى دائما الزعيم الأوحد . .

الشاب : ملعونة يجب قطع رأسها . .

قزمان : كلا ياسيدى . . إنها لا تقصد شرا . . إنها تفخر بذلك . . لقد كانت تكرهنى قبل ثورة ١٤ نيسان ، فلما ظهر الزعيم الأوحد وشاهدت صوره فى الجرائد صارت تحبنى وتعبدنى . .

الشاب : لكنك أنت لا تحب الزعيم الأوحد .

قزمان : وهل هذا معقول ؟ تحبه زوجتى ولا أحبه ؟ إنى ياسيدى أحبه وأعبده . .

الشاب : لو كنت صادقا لتركت هذه المهنة القذرة . .

قزمان : كيف أتركها وهى مهنتى ومنها أعيش ؟

الشاب : ألا تعلم أنك بمزاولتها تسىء إلى الزعيم الأوحد وتدنس كرامته وتعرض اسمه للهزء والسخرية ؟ هذه خيانة .

قزمان : (مرتاعا) خيانة ؟ !

الشاب : معلوم .. خيانة عظمى .

قزمان : إن كانت خيانة فهى غير مقصودة والله ..

الشاب : بل مقصودة .. اكتشفت أنك تشبه الزعيم الأوحد فظللت تمسح أحذية الناس لتهينه وتهزأ به خبرنى الآن ما اسمك .. (يخرج مذكرة من جيبه)

قزمان : (يرتعد خوفا) ماذا أنت صانع ..

الشاب : اسمك ؟

قزمان : دخيلك ياسيدى .. أنا مخلص للزعيم الأوحد .. أنا كافر بالقومية العربية . أكره عبد السلام عارف وأحب القرداوى ووحشى الياور

الشاب : ما اسمك ؟

قزمان : وألعن الشواف وأعتبره خائنا للبلد وعميلا لجمال عبد الناصر وللاستعمار ..

الشاب : (فى صرامة) اسمك .

قزمان : (فى يأس) اسمى قزمان .. قزمان عبد الله ..

الشاب : (يكتب) عنوان سكنك ؟

قزمان : (متوسلا) صدقنى ياسيدى أنا عبد الزعيم الأوحد .

الشاب : (ينهره) صه يا جاهل . ليس فى بلدنا عبيد . نحن جميعا أحرار ما عدا القوميين الخونة فهم عبيد لعبد الناصر وللاستعمار ..

قزمان : طيب ياسيدى .. أنا لست عبدا .. أنا حر .. أنا ..

الشاب : (فى صرامة) عنوان مسكنك ..

قزمان : أرجوك يا سيدى . . أنا مؤمن بالسلام والديموقراطية . . وشعارى هو الشعار الأعظم : لا عروبة ولا إسلام بل ديمقراطية وسلام ..

الشاب : أتسخر يا خبيث . . ؟

قزمان : لا والله ياسيدى . . أنا . .

الشاب : تعطينى عنوان مسكنك أم . . ؟

قزمان : حاضر ياسيدى . محلة الكولات فى باب الشيخ رقم ٤

الشاب : (يكتب) وقع هنا .

قزمان : أنا لا أعرف الكتابة يا سيدى . .

الشاب : (يخرج مبصمة من جيبه) ابصم . .

قزمان : (يبصم) أمرى إلى الله . .

الشاب : ارجع الساعة توآ إلى بيتك ولا تخرج منه ولا تقابل أحدا حتى يأتيك إخطار من الدولة . .

قزمان : (ينظر إلى عدته فى يأس) لكن كيف أعول أولادى؟

الشـاب : (بلهجة جازمة) نفذ ما أمرتك ..

قزمان : حاضر ياسيدى .. (يخرج فى ذلة وانـكسار)

الشـاب : (يصفق فيحضر عبد المؤمن) كم حسابك ؟

عبد المؤمن : الحساب واصل ..

الشـاب : من الذى دفع ؟

عبد المؤمن : المـكان مكانك ياسيدى والمحسوب خدامك ..

الشـاب : رشوة ؟

عبد المؤمن : معاذ الله يا سيدى بل إكرام وتحية ..

الشـاب : أنت والدى حسين عبد المؤمن ؟ .

عبد المؤمن : نعم يا سيدى ..

الشـاب : (يصافحه محييا) فى أمان الله .. (يخرج)

عبد المؤمن : مع السلامة . (يتمتم وحده) يارب إلى متى نعيش فى هذه الغمة ؟

(يدخل الشاعر من الباب الأيسر وهو يترقص جذلا ويختال تيها)

الشـاعر : عبد المؤمن .. عبد المؤمن .. هنئنى .. هنئنى ..

عبد المؤمن : أكملت القصيدة ؟

الشـاعر : ليست قصيدة .. بل ملحمة .. سبعون بيتا كل بيت ينطح ما قبله ويرمح ما بعده .. ملحمة لم يقل مثلها شاعر قبلى ولن يقول مثلها شاعر بعدى ..

عبد المؤمن : تريد أن تلقيها فى محكمة الـ .. محكمة الشعب ؟

الشاعر : أجل وسيكون لها دوى فى العالم كله كما قال أبو الطيب المتنبي :

وتركك فى الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

عبد المؤمن : نتمنى لك التوفيق يا سيدى الشاعر .. أرجو أن أسمعها من المذياع .

الشاعر : كلا بل يجب أن تسمعها الآن .. هذا المقهى مهبط وحيها .. ومن حق أهله على أن أسمعها لهم قبل غيرهم : (يخرج القصيدة من حقيبته ويجيل بصره فى أرجاء المقهى) الله .. أين رواد المقهى ؟ الذين كانوا هنا ؟

عبد المؤمن : قد انصرفوا يا سيدى الشاعر ..

الشاعر : لعنة الله عليهم .. كانوا متكأكئين هنا بصخبهم حين كنت أستوحى الشعر فلما أردت أن أشنف به أسماعهم انفرنقعوا .. لا بأس ستسمعها أنت وحدك .. أين زوجتك وابنتك ؟ . ادعهما لتسمعا معك فنحن فى عهد المساواة بين الرجل والمرأة ..

عبد المؤمن : (بين التضايق والتفكه) حاضر يا سيدى ..

(يدخل ثم يعود ومعه خديجة وفاطمة وهما تبتسمان)

الشاعر : (يصلح رباط عنقه ويمسح نظارته متهيئا للإلقاء)

استمعوا جيدا . غدا حين يكتب تاريخ الأدب والشعر فى هذا البلد سيذكر فيه أن هذه الملحمة كتبت فى مقهى الحاج عبد المؤمن ، وأنه هو وزوجته خديجة وابنته فاطمة كانوا أول من سمعها من فم ناظمها .

عبد المؤمن : حقا هذا شرف لنا كبير . .

الشـاعر : ينشد . .

أنت الزعيم الأوحد   من ذا افضلك يجحد ؟
عـــزت ديمقـراطية   بك فى العراق تخلد
حمـراء قال خصومها   وهمو لعمرى حسد

(يومى إلى فاطمة)

أيعـاب من خد الفتاة   تضرج وتـــورد ؟

(يشير لهم أن صفقوا فيصفق الثلاثة وهم يضحكون)

الشـاعر : شيدت جمهـــورية العيش فيهـــا أرغد
لا جائع لا خائف فيهـــا . . . . . .

(يدخل فجأة شابان من المقاومة الشعبية أحدهما يحمل مدفعا رشاشا)

الشـاب ١ : أنت عبد المؤمن ؟

عبد المؤمن : نعم .

الشـاب ١ : أنت متهم بإحراز صور ممنوعة فى محلك . .

عبد المؤمن : هاتين الصورتين ؟

الشاب ١ : لا تتجاهل يا خائن .

عبد المؤمن : ليس عندنا غيرهما .

الشاب ٢ : عرفنا سرك يا منافق .. أنت تعلق هاتين الصورتين عندما تفتح المقهى لتخدع بهما الناس عن خيانتك ، فإذا أغلقت المقهى علقت مكانهما صورتين لجمال عبد الناصر وعبد السلام عارف .. صحيح أم لا ؟

عبد المؤمن : (ينظر إليهما دون أن يجيب) . . . ؟

خديجة : كلا هذا غير صحيح .

فاطمة : هذا كذب . .

الشاب ١ : إذن نفتش المنزل . .

عبد المؤمن : لا داعى للتفتيش . . سأحضر لكما الصورتين .

(يدخل ثم يعود بالصورتين)

الشاب ٢ : وكر من أوكار الخيانة فى قلب العاصمة .. سلم نفسك.

(تصيح المرأتان وتتعلقان بعبد المؤمن)

عبد المؤمن : صبرا يا خديجة . . صبرا يا فاطمة . . كل هذا من حسين . .

المرأتان : حسبك الله يا حسين . . تفتن على أبيك . . تجر المصيبة على أمك وأختك . . لا حول ولا قوة إلا بالله . .

(يتملص عبد المؤمن من زوجته وابنته ويتقدم نحو الشابين فيلقى أحدهما القبض عليه)

عبد المؤمن : (يلتفت إلى الشاعر) إنك ما أكملت لنا البيت . .
لا جائع لا خائف فيها . . .

الشاعر : (فى حيرة وارتباك) وعدلك يشهد

عبد المؤمن : يؤسفنى يا شاعر الديمقراطية والسلام الا أسمع بقية الملحمة .

(يدفع الشابان عبد المؤمن نحو باب الخروج وهو يومىء بيديه نحو زوجته وابنته الباكيتين والشاعر يتبعهم)

الشاعر : (فى شىء من الزهو) لا بأس يا عبد المؤمن ، فى إمكانك أن تسمعها من مذياع السجن . . قد أصبحت سجوننا اليوم مجهزة بكل وسائل الراحة . . نحن فى عهد الزعيم الأوحد ! !

« ينزل الستار »

الفصل الثانى

حجرة استقبال متوسطة فى مبنى وزارة الدفاع ببغداد مؤثثة تأثيثا فاخرا .

فى الصدر مكتب فخم ترى من خلفه ستارة حمراء مسدلة على باب الحجرة التى ينام فيها الزعيم الأوحد .

باب ثان على يمين المسرح يؤدى إلى حجرة داخلية وباب ثالث على يسار المسرح هو باب الخروج من حجرة الاستقبال .

(الوقت أول الصباح)

يرفع الستار عن ياور الزعيم الأوحد جالسا على أحد المقاعد يغالب النعاس وبيده مدفع رشاش ، فكلما انتبه من سنة غلبته انتفض مذعورا فرفع مدفعه كأنما يصوبه إلى عدو مهاجم .

(يقرع الباب الأيسر فينهض الياور مذعورا ويتقدم نحو الباب والمدفع فى يده)

الياور : من ؟

الطارق : افتح ياوحشى . أنا القرداوى .

(يفتح الياور الباب فيدخل القرداوى)

القرداوى : ماذا ؟ أكنت نائما ؟

الياور : (يتثاءب) نعسان . . طول الليل سهران . . قبحها الله وظيفة .

القرداوى : حول هذا عنى من فضلك . . لا ينطلق دون أن تشعر .

الياور : (يقهقه فجأة قهقهة عالية) . . . ؟

القرداوى : ماذا يضحكك ؟

الياور : الذى يراك ياقرداوى تصول وتجول فى محكمة الشعب يحسبك عنترة بن شداد .

القرداوى : سبحان الله ! كيف لا أخاف من مدفع رشاش يحمله نائم ؟

الياور : (يكف عن الضحك ويصوب المدفع نحوه) ما دمت تعتقد أنى نائم فلا لوم على إذا انطلق .

القرداوى : (ينحى فوهة المدفع عنه) أرجوك يا وحشى . . دعنى من هذا المزاح البارد .

الياور : بارد . أهذا بارد ؟

القرداوى : أرجوك . . ما عندنا وقت للمزاح .

الياور : طيب طيب . أحضرت البضاعة ؟

القرداوى : أى بضاعة ؟

الياور : الزعيم الأوحد رقم (٢) .

القرداوى : نعم .

الياور : أين هو ؟

القرداوى : موجود تحت .

الياور : تركته تحت يراه الجنود والحرس ؟

القرداوى : كلا .. لم يره أحد .. جئنا به داخل صندوق مقفل .

الياور : داخل صندوق مقفل .. لا بد أنه اختنق ونفق .. أين ذهب عقلك ؟

القرداوى : عقلى موجود يا وحشى .. فى الصندوق ثقوب للتهوية ..

الياور : شاطر والله .

القرداوى : خبرنى الآن هل نجحت فى إقناع الزعيم الأوحد بالموافقة ؟

الياور : لا لم أنجح .. بقى مترددا حتى الآن .

القرداوى : يجب أن نقطع تردده اليوم بأى وسيلة .

الياور : لم لا تقول له : إن هذا قرار نهائى من الحزب الشيوعى وعليه أن يطيع دون مناقشة ؟

القرداوى : كلا يا وحشى .. ما حان الأوان بعد لفرض الأوامر .. يجب أن يشعر أنه الحاكم المطلق والا أوامر تملى عليه وإلا انقلب على الحزب دفعة واحدة .

الياور : إن انقلب أزحناه واسترحنا منه ..

القرداوى : ليس الآن ..

الياور : أنا لا أرضى أبدا أن أبقى ياورا له إلى الأبد .

القرداوى : ماذا جرى لك ؟ . . أنت ستكون وزيرا . . هذا أمر مقرر .

الياور : لكن متى ؟

القرداوى : عندما يحين الوقت .

الياور : ومتى يحين الوقت ؟

القرداوى : عندما تأتى الأوامر .

الياور : من ذلك السورى الدخيل ؟ يا لها من مهزلة . أنرفض الاعتراف بزعامة جمال عبد الناصر لنقع فى النهاية تحت سيطرة خالد بكداش ؟

القرداوى : حلمك حلمك . لا يخرجك الغضب من طورك . من قال لك إنها أوامر خالد بكداش ؟ . إنها من قلعة السلام . .

الياور : يجب أن تعلم القلعة أننا لا نرضى أن نتلقى أوامرها من خالد بكداش . .

القرداوى : صه ، إياك أن تقول هذا أمام أحد . . أنت صديق الحميم ياوحشى ومن واجبى أن أنصحك وأحذرك . .

الياور : (فى خوف) أنا لم أقل شيئا ضـــد القلعة . تذكر جيدا يا قرداوى .

القرداوى : إذا وثقت القلعة ببكداش وطعنت أنت فى بكداش فقد طعنت فى القلعة . .

الياور : (يصفر وجهه ويتمتم) لا يمكن لأحد أن يشك فى إخلاصى . .

القرداوى : أرجوك يا وحشى أن تذكر دائما هذه الحقيقة . . ليس أحد منا بأفضل من مولوتوف . أو مالينكوف أو بولجانين أو شيبيلوف . .

الياور : لقد صدقت يا قرداوى . . انس الذى سمعته منى الآن . إياك أن يزل به لسانك أمام أحد . .

القرداوى : اطمئن ياصديقى الحميم . . (يقبل الياور رأسه) أستغفر الله أستغفر الله . والآن ساعدنى فى مهمتى . . أخبر الزعيم الأوحد أننى حضرت .

الياور : حاضر . تحت أمرك (يدنو من الستارة فيقرع الباب) زعيمى ! زعيمى !

صوت : ماذا تريد يا وحشى ؟

الياور : القرداوى هنا يريد مقابلتك .

(يفتح الباب فيدخل الزعيم الأوحد مرتديا روبا أحمر من الحرير فوق بذلته العسكرية وهو يحمل المدفع الرشاش فى يده) .

القرداوى : (فى لهجة خطابية) : عم صباحا أبيت اللعن !

الزعيم : (ثائرا) ويل لك . . تلعننى على وجه الصبح ؟ أين تظن نفسك ؟ فى المحكمة ؟

القرداوى : معاذ الله يا زعيمى الأوحد . . حاش لله أن ألعنك .

الزعيم : منذا لعنت إذن ؟

القرداوى : أنا لم ألعن أحدا . . هذه تحية .

الزعيم : تحية محشوة باللعن ؟

القرداوى : عفوا يا سيدى . هكذا كان العرب يحيون ملوكهم في الجاهلية .

الزعيم : عرب الجاهلية كانوا على حق . . الملوك يستحقون اللعن بل يستحقون القتل والذبح . لكن أنت ياجاهل كيف توجه هذا الكلام إلى ؟ كيف تعتبرنى ملكا ؟ أتتمنى لى أن أذبح كما ذبح فيصل وعبد الإله ؟

القرداوى : معاذ الله يا سيدى . . أنا أتمنى أن أذبح قبلك .

الزعيم : خيبك الله . . الذبح هو الذبح سواء قبلك أو بعدك .

القرداوى : (يرتبك فلا يستطيع أن يجيب) . . .

الياور : معذرة ، إن المهداوى لم يقصد هذا المعنى ..

الزعيم : فماذا قصد ؟

الياور : قصد أنه مستعد أن يفديك بدمه فيذبح هو لتسلم أنت ..

الزعيم : هذا كلام آخر .

القرداوى : هو هذا الذى قصدته والله يا زعيمى الأوحد .

الزعيم : طيب وحكاية اللعن ؟

القرداوى : (ينظر إلى الياور مستنجدا) . . . ؟

الياور : هذه مشكلة لغوية . . أنت وحدك تستطيع أن تفسرها .

القرداوى : (متلعثما) أبيت اللعن معناها .. لا أصابك اللعن .. أى لا كنت ملعونا ، هذا مدح يا زعيمى الأوحد.

الزعيم : مدح ؟ مدح يا مجنون يا قليل العقل ؟

القرداوى : نعم يا مولاى ..

الزعيم : عجيب . إذا قلت لرجل : أنت غير مجنون .. أنت غير ملعون .. أمدح هذا أم ذم ؟

القرداوى : (يتلعثم) مدح ..

الزعيم : هيه الآن عرفت لماذا برأت بعض المتهمين فى محكمة الشعب .

الياور : لماذا ؟

الزعيم : لأنه لا يفهم معانى الكلام ، فالمدح عنده ذم والذم عنده مدح ، والأبيض أحمر والأحمر أبيض .. لا يمكن أن نثق بأحكامه بعد اليوم . يجب عزله .

القرداوى : دخيلك يا زعيمى الأوحد .. لا تعزلنى عن رياسة المحكمة .. لا تشمت بى الأعداء

الزعيم : القضاء يحتاج إلى عقل وإلى فهم خصوصا فى محكمة الشعب .

القرداوى : سأحتاط يا سيدى بعد اليوم .. لن أحكم بالبراءة لأحد .. سأجعل أحكامى كلها بالإعدام أو المؤبد .

الزعيم : حتى هذا يحتاج إلى تمييز ، فقد تحكم بالإعدام على من يستحق المؤبد و بالمؤبد على من يستحق الإعدام .

القرداوى : (بصوت يخالط البكاء) فسأجعلها كلها بالإعدام ! .

الزعيم : من غير تمييز ؟ من غير تنويع ؟ لتجعلنا مضغة فى أفواه الخصوم ؟

القرداوى : (ينشج باكيا) .

الياور : (يثور فى وجه الزعيم الأوحد) لا لا هذا كثير . يجب أن تقف عند حدك . .

الزعيم : (تذهله المفاجأة فيستكين قليلا) هذا قريبى ولا شأن لك بما بينى وبينه .

الياور : لكنه صديقى ولا أسمح لك أبدا أن تستذله أمامى .

الزعيم : أنا ما قصدت أن أستذله .

الياور : ظللت تعنفه وتبكته كأنما ارتكب جريمة . رجل مثقف متبحر فى اللغة أراد أن يحييك تحية أدبية فلم تستطع أن تفهمها لجهلك أفيستحق هذا اللوم والتعنيف ؟ أنسيت أن صوته يبح كل ليلة من طول ما ينبح بمدحك شعرا ونثرا فى محكمة الشعب ؟

القرداوى : لا بأس يا وحشى . . لا ينبغى أن نغضب من الزعيم الأوحد .

الياور : أسكت أنت . أنا أعرف سبيلى معه .

الزعيم : (يتلعثم) أنا لا أنكر فضل القرداوى على وهو يعرف محبتى له

الياور : اعتذر له .

القرداوى : لا لزوم للاعتذار . .

الياور : اعتذر له .

الزعيم : سامحنى يا قرداوى . (يقبل رأسه)

القرداوى : (يقبل رأسه) أستغفر الله يا زعيمى الأوحد .

الياور : (للقرداوى) كلمه الآن فيما جئت من أجله .

القرداوى : قد أحضرنا شبيهك يا زعيمى الأوحد لتوافق عليه .

الزعيم : كلا انا لا أوافق أبدا على أن يكون لى شبيه . .

الياور : نحن ما خلقنا هذا الشبيه . ربنا هو الذى خلقه .

الزعيم : فليبق بعيدا عنى كما كان . لا أوافق أبداً أن يحل محلى .

القرداوى : إنه لن يحل محلك يا زعيمى الأوحد . . ولكنه سينوب عنك فى الحفلات التى يخشى عليك فيها من الاغتيال .

الياور : أنسيت ذلك المجرم الذى حاول اغتيالك منذ أسبوع ؟

الزعيم : أنا قد قررت الا أشهد الحفلات ولا أخرج من هذا المكان أبداً .

الياور : أتريد أن تبقى سجيناً هنا طول عمرك ؟

الزعيم : لا بأس . . السجن ولا الموت . .

القرداوى : لا حق لك يا سيدى أن تحرم الشعب رؤية وجهك .

الزعيم : حسبهم أن يروا صورى فى الصحف .

الياور : غدا تنقطع الصحف عن نشر صورك . .

الزعيم : سآذن للصحفيين أن يصوروني هنا فى أوضاع مختلفة .

الياور : لن يجىء أحد منهم ليصورك .

القرداوى : إن انقطاعك يا مولاى سيقضى على شعبيتك .

الزعيم : شعبيتى ؟ وأين هى شعبيتى ؟ . أتظنون أننى لا أعرف بغض هؤلاء العراقيين لى ؟

القرداوى : لا يبغضك غير القوميين الخونة .

الزعيم : لو فتشت قلوبهم لوجدتهم جميعا قوميين خونة .

القرداوى : لا حق لك أن تظلمهم يا مولاى . أما تستمع إلى محكمة الشعب ؟ أما ترى الأهالى يهتفون بحياتك كلما ذكر اسمك ؟ أما تسمع القصائد والأزجال التى تصاغ فى مدحك ؟

الزعيم : من أجل الدنانير التى تعطى للهاتفين والمصفقين .

القرداوى : لا يصح يا مولاى أن تردد ما يقوله خصومنا . . نحن لا نعطى شيئاً لأحد .

الزعيم : لا تعطون شيئاً لأحد ؟ . أين إذن تذهب المبالغ المخصصة لهذا الغرض من الأموال السرية ؟ . إلى جيب من تذهب ؟

القرداوى : بل تصرف لمستحقيها من رواد المحكمة يا سيدى ولكنها ليست السبب فى حضورهم .

الزعيم : ربما يحضرون للفرجة والتسلية ولكنهم لا يصفقون أو يهتفون مجاناً .

الباور : (متضايقا) أوه لن ننتهى من هذا النقاش . اعلم إذن أن هذا قرار اتخذه الحزب والسلام .

الزعيم : (فى قلق) قرار ؟

القرداوى : نعم ولكنه ليس نهائياً بل يترك للزعيم الأوحد حرية الموافقة عليه إذا رأى فيه مصلحته .

الباور : من الواضح كالشمس أن فيه مصلحته إلا إذا أراد أن يعفى من مهمته .

الزعيم : كلا لا يستطيع أحد أن يعفينى من مهمتى . . الاتفاق الثلاثى يحمينى من ذلك . .

الباور : تعنى الاتفاق المؤقت الذى عقده الجانبان معك ؟

الزعيم : نعم . . إنه نص على حمايتى وبقائى زعيما أوحد حتى يتم القضاء على خطر القومية العربية .

الباور : أما زلت تعتبر الاتفاق قائما بعد ما ثبت من التحقيق السرى أن الجانب الاستعمارى هو الذى دبر تلك المحاولة الأثيمة لاغتيالك ؟

الزعيم : لكن الجانب الشيوعى لم ينقضه ولن ينقضه ، وأنا أعتمد على الجانب الشيوعى .

الباور : الجانب الشيوعى أصبح الآن فى حل إذا ما اضطر إلى تنحينك من أجل تعنتك .

القرداوى : ما أحسب الزعيم الأوحد إلا اقتنع الآن .

الياور : هو حر يقتنع أو لا يقتنع المصلحة له والمضرة عليه.

الزعيم : (فى حيرة وتردد لا يدى ماذا يجيب) . . . ؟

القرداوى : علام التردد يا زعيمى الأوحد ؟ هذا هتلر كان يتخذ له شبيها لحمايته من الاغتيالات .

الزعيم : لا أريد أن أكون مثل هتلر .

القرداوى : أنت لدينا أسمى وأغلى من هتلر ، فقد تمر قرون قبل أن ينجب الشرق كله بطلا مثلك .

الزعيم : طيب أنا موافق .

القرداوى : (هاتفا) يعيش الزعيم الأوحد !

الزعيم : لكن . .

الياور : (فى حدة) لكن ماذا أيضا ؟

الزعيم : قلتم إنه مساح أحذية .

القرداوى : نعم .

الزعيم : هذا لا يليق بمقامى .

الياور : خلصنا . . روحى زهقت !

الزعيم : يجب أن تختاروا لى شبيها محترما .

الياور : من أين نأتى لك بالشبيه المحترم ؟ ربنا لم يشأ أن يخلق لك شبيها محترما . . أنخلقه نحن لك ؟ هل نحن آلهة ؟

الزعيم : (بعد صمت يسير) هل يشبهنى هذا الرجل تماما ؟

القرداوى : تماما .. حذوك النعل بالنعل .

الزعيم : (محتدا) النعل ؟ أتشبهنى بالنعل ؟

القرداوى : معذرة ياسيدى الزعيم . . العرب يقولون هذا فى الشيئين المتماثلين .

الزعيم : (ثائرا) العرب .. العرب . وراءنا وراءنا فى كل داهية .. منذ قليل اللعن والآن النعل .. الله يلعنهم ويلعن قوميتهم !

الياور : اللهم آمين (يلتفت إلى الزعيم) هذه المرة أنت على حق ... (للقرداوى) من فضلك يا قرداوى استعمل هذه اللغويات والنحويات هناك فى محكمة الشعب ، لتعرّف المستمعين العرب فى كل مكان أننا مثقفون ثقافة عالية .. أما هنا فخاطبنا على قدر عقولنا لئلا تجر علينا هذه الإشكالات .. مفهوم ؟

القرداوى : حاضر ..

الياور : هيا الآن فرج الزعيم الأوحد على البضاعة ..

القرداوى : حالا (يخرج منطلقا) .

الياور : (يطبطب على خد الزعيم) زعلان منى ؟ حقك على ..

أنا أقصد مصاحتك ، أنت تعرف إخلاصي لك . .
ابتسم ابتسم . .

الزعيم : (يبتسم قليلا ثم يعاوده الاهتمام) إنى حزين يا وحشى لوجود هذا الشبيه . .

الياور : لمـــاذا ؟

الزعيم : لأن معناه أننى لا أصلح للقب الزعيم الأوحد . هذا عبد الناصر لا يسمى نفسه الزعيم الأوحد ، ومع ذلك ليس له شبيه . وأنا أنا الذى أحمل هذا اللقب يكون لى شبيه . أليست هذه مأساة ؟

الياور : بل هذه معجزة من السماء . . معذرة أنا لا أومن بالغيبيات . ولـكن لا يسعنى بعد ما شاهدت هذا الرجل إلا أن أومن أن هناك قوة قاهرة تسيطر على أقدار البشر .

الزعيم : ماذا تعنى ؟

الياور . لا ريب أن الأقدار أوجدت هذا الرجل هنا فى بغداد ، وفى هذا العصر بالذات ، ليـكون وقاية لك من الاغتيال .

الزعيم : أواثق أنت أنه لا خطر على من وجوده إلى جانبى ؟

الياور : وهل كنت أرضى أنا لو كان فيه أى خطر عليك؟ عيب ،

الزعيم : على مسئوليتك ؟

الياور : على مسئوليتى .

(يدخل القرداوى يقود معه شخصا مغطى وجهه بقماش أسود)

الزعيم : أعوذ بالله . ما هذا البرقع على وجهه ؟

القرداوى : حتى لا يراه أحـد غيرنا . يجب أن يبقى سرا بيننا لا يعرفه أحد .

الياور : على سبيل الاحتياط هاته هنا فى هذه الحجرة .

(يأخذ بيد الرجل فيتوارى به خلف الباب الأيمن)

القرداوى : (ينظر ناحية الباب) أصبت يا وحشى . . دعه واقفا فى هذا المـكان . . الآن اكشف عنه البرقع .

(ينظر الزعيم مدهوشا ويعود الياور إلى مكانه بجانب الزعيم) .

القرداوى : كيف تراه يا زعيمى الأوحد ؟

الزعيم : أعطنى مرآة . .

القرداوى : (يسرع فيحضر له المرآة) تفضل .

(تمر فترة صمت فى خلالها يردد الزعيم بصره بين المرآة وبين ناحية الباب . . بينما يردد كل من القرداوى والياور بصره بين الزعيم وبين ناحية الباب) .

القرداوى : مضبوط !

الياور : الزعيم الأوحد بلحمه ودمه !

الزعيم : أبدا . شاربه كبير يختلف عن شاربى .

القرداوى : بسيطة . . سنحلق شاربه حتى يظهر مثل شاربك .

الزعيم : ورأسه ؟

القرداوى : ما لرأسه ؟

الزعيم : أصغر من رأسى .

الياور : فرق يسير لا يؤثر .

الزعيم : كيف لا يؤثر ؟

القرداوى : يا زعيمى الأوحد . . لا ينبغى أن تطلب شططا . . من الجائز أن يوجد شبيه لك فى كل شىء إلا فى دماغك ومخك . . أين مخ هذا المساح البسيط من مخ أكبر عبقرية فى التاريخ الحديث !

الزعيم : (يبتسم ويقول بلهجة من يتكلف التواضع ليسمع ثناء أكبر) فى التاريخ الحديث كله يا قرداوى ؟ ألا ترى أن فى هذا شيئا من المبالغة ؟

القرداوى : أبداً أبداً لا مبالغة على الإطـــلاق . . ولولا كراهيتى أن أخجل تواضعك لقلت فى التاريخ الحديث والقديم .

الزعيم : (يستعيد كامل ثقته بنفسه فينهض من مقعده ويقترب من الباب الأيمن) كم سنك يا . .

القرداوى : قزمان ياسيدى . . اسمه قزمان .

الزعيم : (كالمتأفف) قزمان !

القرداوى : سنغير لك اسمه إن شئت . . . هذا سهل .

الياور : نعطيه اسم عبد الكريم . .

الزعيم : كلا لا لزوم لتغيير اسمه . . كم سنك يا قزمان ؟

قزمان : (صوته) أربعون سنة .

الزعيم : مثلى تقريبا . . ما مذهبك ؟

قزمان : (كأنه يتلو من كتاب) أحب الديمقراطية وأكره القومية العربية .

الزعيم : جميل . . لكن ما مذهبك الدينى ؟

قزمان : أنا يا سيدى لا أتعاطى الأفيون !

(يدهش الزعيم والياور) .

القرداوى : يشير إلى كلمة لينين : الدين أفيون الشعب .

الياور : الله الله الله . . متنور . . تقدمى هائل !

الزعيم : (بعد فترة صمت) وأعزب أم متزوج ؟

قزمان : متزوج يا سيدى .

الزعيم : (فى اهتمام بالغ) كيف استطعت أن تتزوج ؟

قزمان : لا أدرى يا سيدى ماذا تقصد .

الزعيم : (يخجل قليلا ويحاول أن يبرر سؤاله) كيف استطعت أن تتزوج وأنت فقير لا تملك شيئا ؟

قزمان : على قد حالى ياسيدى . . فقيرة مثلى .

الزعيم : وهل هى سعيدة بالزواج منك ؟

قزمان : نعم يا سيدى ، وخاصة بعد ما تبينت الشبه بينى وبينك .

الزعيم : ألا تشكو امرأتك من شىء ؟

قزمان : تشكو أحيانا من قلة النفقة .

الزعيم : ولا تشكو .. من أى شىء آخر ؟

قزمان : لا يا سيدى .

الزعيم : و .. عندكما أولاد ؟

قزمان : كثير يا سيدى . . نصف درزن غير الذين ماتوا .

الزعيم : كل هؤلاء من صلبك أنت ؟

قزمان : (يضحك) طبعاً يا سيدى . . من صلب من غيرى ؟

الزعيم : متأكد ؟

قزمان : (فى شىء من الغضب) ماذا تقول يا سيدى ؟ أنا لا أقبل من أحد أن يمس شرف بيتى . صحيح أنا ما عندى دين . لكن عندى شرف !

القرداوى : حلمك يا قزمان لا تغضب . . إن الزعيم الأوحد لا يقصدك أنت بالذات ، وإنما يقرر حقيقة عامة فى كل إنسان . . المرأة تستطيع أن تتأكد من أولادها ولكن الرجل لا يستطيع . . هذا فرق ما بين المرأة والرجل .

قزمان : ربنا هو العالم . وامرأتى على كل حال متدينة تعرف ربها وتصلى وتصوم .

الزعيم : هل سبق لك أن عرضت نفسك على طبيب ؟

قزمان : على طبيب ؟

الزعيم : ألم يعالجك طبيب قط ؟

قزمان : أنا يا سيدى لا أومن بالأدوية ولا أتعاطاها ؛ ولكن أجريت لى مرة عملية جراحية .

الزعيم : (فى ارتياح ظاهر) عمليـة جراحية . . عال . من الذى أجرى لك هذه العملية ؟

قزمان : كبير الجراحين فى مستشفى المجيدية . . هو الآن يا سيدى فى السجن .

الزعيم : فى السجن ؟

قزمان : تبين أنه من القوميين الخونة .

الزعيم : انطلق يا قرداوى فى الحال . . قل لهم يفرجوا عنه فورا .

القرداوى : مهلا يا سيدى ، دعنا نسأل قزمان أولا هل أجرى له هذه العملية قبل زواجه أم بعد زواجه ؟ .

الزعيم : قبل الزواج طبعا .

قزمان : كلا يا سيدى . . بل بعد الزواج .

الزعيم : (يتمتم فى اكتئاب) بعد الزواج . . بعد الزواج . .

(للقرداوى) دع الخائن إذن فى السجن . (يبدو عليه الأسى الشديد)

القرداوى : (مواسيا) سيدى . . أنت خلقت لهدف سام عظيم كرست له حياتك منذ الصغر . . أما قزمان هذا وإن كان يشبهك فى الخلقة فهو رجل عادى مثلنا ، لا هدف له غير الأكل والشرب والتناسل . حيوان يا سيدى . . حيوان .

(يضحك فيضحك الزعيم وتتعالى ضحكاته فى نوبة هستيرية ، وينضم الياور إلى جوقة الضحك) .

الياور : (بعد انقطاع نوبة الضحك) هل لك يا سيدى أسئلة أخرى توجهها لقزمان ؟

الزعيم : نعم بقى لى سؤال أخير . . هل لك يا قزمان مطامع فى الحكم ؟

القرداوى : غير معقول يا سيدى . . مساح أحذية يطمع فى الحكم ؟

الزعيم : لا أريد جوابك أنت . . أريد جوابه هو .

قزمان : كل ما أطمع فيه يا سيدى أن أوفق لحمايتك من السوء وبذلك ، أخدم الديمقراطية والسلام فى جمهوريتنا المتحررة .

الياور : عال عال !

القرد وى : والآن تسمح يا سيدى أن نكسوه بذلة من بذلك ريثما نفصل له بذلا خاصة ؟

الزعيم : لا بأس . . ادخل يا وحشى . . أحضر له واحدة .

(يخرج الياور من الباب الأوسط ثم يعود ببذلة كاملة فيناولها لقزمان) .

القرداوى : اخلع هدومك يا قزمان وارتد هذه البذلة .

(يوصد الباب الأيمن)

الياور : الليلة حفلة افتتاح كنيسة الآثوريين . يجب أن تذهب يا قزمان لتشهدها .

القرداوى : كلا يا وحشى . . لا نستطيع أن نبعثه الليلة . يجب أن ندربه أولا على حركات الزعيم الأوحد وسكناته .

الياور : صحيح . إذن فعلى الزعيم الأوحد أن يذهب الليلة لحضور الحفلة .

الزعيم : كلا لن أذهب .

الياور : لا خوف عليك من هذه . . ليس فى الآثوريين قوميون خونة .

القرداوى : وستكون هذه آخر حفلة تحضرها بنفسك .

الزعيم : كلا دعوه هو يحضرها عنى .

الياور : لم يتم تدريبه بعد .

الزعيم : ولو .

الياور : أتريد أن ينكشف تدبيرنا من أول يوم ؟

الزعيم : دربوه الآن . .

القرداوى : الوقت يا سيدى ضيق لا يكفى .

الزعيم : قلت لكم لن أذهب . لن أذهب . . هذا قرارى .

الياور : قلت لك يجب أن تذهب يجب أن تذهب . . هذا قرار الحزب !

(يعرق الزعيم خارجا من الباب الأوسط فيغلقه على نفسه)

الياور : (يقرع الباب) افتح . افتح .

الزعيم : (صوته من الداخل) افعلوا ما شئتم . . لن أخرج من هنا أبدا .

القرداوى : (يجر الياور عن الباب) دعه يا وحشى الآن . .

الياور : هذه حفلة مهمة يجب أن يحضرها .

القرداوى : لا بأس . . سنجتهد فى تدريب قزمان . . إنه ذكى كالقرد !

الياور : (بصوت خافض) إن أردت الحق فهو أذكى من زعيمنا الأوحد !

القرداوى : (يضع اصبعه فى فمه) صه . . صه . . (يدنو من الباب الأيمن) ارتديت البذلة يا قزمان ؟

قزمان : (صوته) نعم .

الياور : جاءت عليك ؟

قزمان : لبستنى تماما .

القرداوى : اخرج الآن إلينا .

(يظهر قزمان على المسرح ويمشى مختالا يتلفت يمنة ويسرة) .

القرداوى : (يتناول المدفع من على المكتب فيقدمه لقزمان) امسك هذا المدفع فى يدك .

قزمان : (يمسك المدفع دون أن يقول كلمة) . . . . ؟

الياور : (يتأمله مدهوشا ويفرك عينيه مرة بعد مرة) الزعيم الأوحد طبق الأصل !

القرداوى : ألم أقل لك إنه قرد ؟

الياور : قرد أوحد !!

« ستار »

الفصل الثانى

المشهد الثانى

صالون أنيق فى المسكن الجديد الذى يقيم فيه قزمان وأسرته فى ضواحى بغداد.

أريكة فى الجانب الأيسر من صدر المسرح وفى الجانب الأيمن منه باب يؤدى إلى حجرة داخلية. باب ثان على اليمين يؤدى إلى الخارج. وباب ثالث على الشمال يؤدى إلى الجناح الخاص بالأسرة.

يرفع الستار فنرى قزمان مرتديا روبا أحمر من الحرير كالروب الذى يرتديه الزعيم الأوحد. وهو يستقبل فتاتين عليهما شارة المقاومة الشعبية تدخلان من الباب الأيمن).

قزمان : أهلا! أهلا! بالمجاهدات الفاتنات! (يومئ إلى الأريكة) اجلسا اجلسا.. (تجلسان فى استحياء ويجلس هو بينهما) تشربان قليلا من الفودكا؟

الفتاتان : شكرا.. نحن لا نشرب.

قزمان : الفودكا لا ترد.. هذه من بلاد النسرين والسلام.. (يقدم إلى كل منهما كأسا صغيرة ويرفع

كأسه إلى فمه) اشربا هكذا جرعة واحـدة . .
(يشرب)

الفتاتان : (تشربان بعد تردد) أوه . . تلسع كالنار .

قزمان : الآن تذهب اللسعة وتبقى النشـوة . (يربت على ظهريهما بيديه) أهلا . أهلا . أهلا . خبرانى كيف اهتديتما إلى هذا المـكان ؟ من دلـكما عليه ؟

الفتاتان : بعض زميلاتنا فى المقاومة .

قزمان : لا حق لهن . . لا حق لهن .

الفتاتان : ألا تحب أن تتشرف بزيارتك ؟

قزمان : هذا يسعدنى . ولـكن يجب أن تعرفن واجبكن نحو الصالح العام .

الفتاتان : نعرفه يا زعيمنا الأوحد لن نبوح بسر زيارتنا لأحد . .

قزمان : إلا لمن ؟

الفتاتان : إلا لبعض زميلاتنا المخلصات .

قزمان : عال . عال (لإحداهما) أرينى الآن أين شـامة الحسن ؟

الأولى : أخت بغداد ؟

قزمان : نعم . إننى أموت فى هذه الشامة (يقبلها) . .

الثانية : وأنا يا زعيمى الأوحد . .

قزمان : وأنت يا ريحانة الزعيم الأوحد (يقبلها) آه . ليتنى أستطيع أن أبوس كل خد عليه شامة بغداد . .

الثانية : أنت إذن دونجوان كبير .

الأولى : والناس تظن أنك تكره النساء ولا تميل إليهن .

قزمان : الناس على حق .

الفتاتان : كيف ؟

قزمان : أنا لى ظاهر وباطن . فالظاهر لخدمة الناس والبلد والديموقراطية والسلام إلى آخره . والباطن . . .

الفتاتان : والباطن ؟

قزمان : لخدمة الحسن والجمال !

الأولى : أنت لطيف .

الثانية : وظريف .

قزمان : أنتما ألطف وأظرف .

(يقرع الباب الأيسر)

الصوت : (امرأة تنادى) قزمان ! قزمان !

(يتأفف قزمان وترتاع الفتاتان ولكنه يهدئهما)

قزمان : (بصوت خافت) هذه خادمة البيت تنادى زوجها .

(يقرع الباب قرعا شديدا)

قزمان : ويل لها ماذا تريد منى ؟ لا ينبغى أن تراكما . (يفتح الباب الأوسط) ادخلا هنا (تدخل الفتاتان) انطلقا

إلى تلك الحجرة فى آخر هـذا الدهليز فاختبئا فيها (يوصد الباب ثانية) .

الصوت : قزمان !

قزمان : (يفتح الباب) ماذا تريدين يا مسعودة ؟

مسعودة : دعنى أدخل (تدخل مقتحمة) لم تمنعنى ؟ أليس هذا بيتى ؟

قزمان : قلت لك ألف مرة بيتك هناك فى الجناح الخاص بك وبأولادك .

مسعودة : وهـذا ؟

قزمان : هذا بيت الأمة .

مسعودة : هذه ليست عيشة . تترك أولادك فى ناحية وتقفل على نفسك فى ناحية أخرى .

قزمان : (يلين لهجته) ماذا نصنع يامسعودة ؟ يجب أن ندفع ضريبة المجد .

مسعودة : مجد ؟ أى مجد ؟

قزمان : ماشاء الله . هذا البيت الفخم وهذا النعيم الذى أنت فيه . كل هذا لا يكفيك ؟ أتريدين أن تعودى إلى كوخك القديم فى محلة الكولات ؟

مسعودة : يا ليت . الكوخ القديم أسعد ألف مرة . على

الأقل كان لى هناك زوج مخلص لامرأته مهتم بأولاده .

قزمان : ماذا تقصدين ؟

مسعودة : أنت تعرف قصدى يا قزمان . والله لولا خاطر الأولاد الصغار ما قعدت دقيقة واحدة فى هذا الماخور .

قزمان : الماخور ؟

مسعودة : أتحسبنى غافلة عن الفتيات المائعات اللاتى يترددن لديك كل يوم ؟

قزمان : تدبرى فى كلامك يا امرأة . هؤلاء فتيات المقاومة الشعبية . فتيات مجاهدات مضحيات بأنفسهن فى خدمة الدولة .

مسعودة : فى خدمة الدولة أم فى خدمة رجال الدولة ؟ .

قزمان : كفى لسانك عنهن .

مسعودة : ماذا يفعلن هنا عندك ؟

قزمان : يتلقين عنى التعليمات والإرشادات .

مسعودة : وتقفل عليهن الأبواب معك ؟

قزمان : حرصا على أسرار الدولة . أتريدين أن نكشفها لكل من هب ودب ؟

مسعودة : امرأتك من كل من هب ودب ؟

قزمان : أوامرك على العين والرأس . ولكن الأوامر هى الأوامر والأسرار هى الأسرار .

مسعودة : ولا تستقبل فى بيتك غير البنات الشابات ؟

قزمان : أنا مختص بتوجيه الشباب فى المقاومة الشعبية .

مسعودة : والشبان أين هم . . ألا يوجد شبان فى المقاومة الشعبية ؟

قزمان : هؤلاء من اختصاص عفيف البزرى . ألم تسمعى عنـــه ؟

مسعودة : لا يهمنى أن أسمع عنه .

قزمان : ضابط عظيم . كان قائد الجيش الأول فى الجمهورية العربية المتحدة فخرج على جمال عبد الناصر وانضم إلينـا .

مسعودة : لو كان فيه خير ما ترك زعيم العروبة لينضم إليكم .

قزمان : صه . . هذه خيانة تستحقين عليها الإعدام .

مسعودة : دعهم يعدمونى . . أنا لا أبالى

قزمان : آه . لولا الأولاد الصغار لأمرتهم بشنقك (يأخذ يدها نحو الباب الأيسر) هيا ادخلى الآن لئـــلا يسمعك أحد .

مسعودة : (تتخلص من يده وتنظر نحو أكواب الخمر أمام الأريكة) ما شاء الله وتسقيهن الخمر أيضا ؟

قزمان : أين هى الخمر ؟ هذه فودكا يا جاهلة . نوع من الصودا لترطيب الحلق .

مسعودة : (تأخذ الزجاجة وتشمها) كلا . . هذه خمر .

قزمان : صودا

مسعودة : خمر

قزمان : صودا .

مسعودة : خمر .

قزمان : (ضائق الصدر) طيب . . خمر . يشربن الخمر . ما شأنك أنت ؟

مسعودة : يسكرن هنا عندك ؟ أين هن ؟ أين الفواجر ؟

قزمان : قد انصرفن منذ حين.

مسعودة : بل خبأتهن يا عاهر (تتوجه نحو الباب الأوسط)

قزمان : إلى أين . ويلك ؟

مسعودة : دعنى أفتش .

قزمان : لن أسمح لك . . هذا بيت الأمة .

مسعودة : يا فاجر . أو قد صرت أنت أيضا زوج الأمة ؟ (تندفع نحو الباب فيدفعها قزمان وتقع على الأرض فتثور هائجة) ياخائن . يا فاجر يا عاهر . (يظهر وحشى الياور على الباب الأيسر) .

الياور : ما هذا الصياح ؟ ماذا تفعل هذه المرأة معك ؟

قزمان : هيا اخرجى يا مسعودة .

مسعودة : كلا . لن أخرج .

قزمان : ويلك . هذا وحشى ياور الزعيم الأوحـــد . ألا تخجلين ؟

مسعودة : أنت الذى ينبغى أن تخجل يا ديوث ، إذ ترضى أن تـكون قوادا له .

الياور : قوادا لى ؟

مسعودة : أجل . يستقبل الفتيات هنا لتلهو معه بهن . اسمع يا سيدى ، أنا لا أقبل فى بيتنا هذه المساخر . ابحثوا لـكم عن بيت آخر .

الياور : (غاضبا) كيف تتستر على هذا يا قزمان ؟ هـذه امرأة قومية متطرفة !

قزمان : ماذا أعمل ؟ قد نصحتها فلم تنتصح .

الياور : يجب أن ترمى فى السجن .

مسعودة : ارمونى فى السجن لأفضح أعمالـكم بين النـاس يا فجرة .

الياور : (يهجم عليها فيكتفها) سأرميـــك فى سجن ليس فيه غيرك .

مسعودة : (تصيح) ابتعد عنى . لا تلمسنى .

الياور : أرنى طريق السرداب . سنغلق عليها السرداب .

قزمان : وأولادها الصغار ؟

الياور : سنرميهم معها فيه . (يومئ إلى الباب الأيسر) أرنى الطريق . (يدفعها بعنف نحو الباب الأيسر فيخرج بها وهى تصيح ويخرج قزمان) . (يسمع من الداخل أصوات أطفال يصيحون) . .

ماما . ماما . ماما . ماما .

(تبتعد الأصوات شيئا فشيئا حتى تنقطع بعد قليل . يعود الياور وهو يتصبب عرقا ويلهث ومعه قزمان)

الياور : (يجلس متهالكا على الأريكة) أدركنى بهذا الشراب الذى عندك .

قزمان : (يملأ له قدحا) تفضل يا سيدى .

الياور : ويلك . تعطينى قدحا شرب فيه غيرى ؟

قزمان : لو تعلم من الذى شرب فيه لقبلت القدح .

الياور : من ؟

قزمان : فتاة رائعة . .

الياور : وى . عندك اليوم صيد ؟

قزمان : صيد ثمين هو الذى كان السبب فى غضب المتعوسة .

الياور : كم عددهن ؟

قزمان : على عددنا . . اثنتان

الياور : حلوتان ؟

قزمان : مثل السكر .

الياور : أين هما الآن ؟

قزمان : خبأتهما فى الحجرة الجوانية . سأذهب لأحضرهما .

الياور : انتظر !

قزمان : لا خوف علينا الآن . قد تخلصنا من العذول .

الياور : انتظر حتى أصلح هندامى . (يقوم إلى المرآة فيصلح هندامه ويمشط شعره ويفتح زجاجة كولونيا فيرش منها على رأسه ووجهه ويديه)

قزمان : أجىء بهما الآن ؟

الياور : انتظر ! (ينظر إلى حذائه) ائتنى بالعدة .

قزمان : حذاؤك نظيف .

الياور : أكنت تقول هذا لو بقيت تمسح الأحذية فى المقاهى والطرقات ؟ ائتنى بالعدة أقول لك .

قزمان : حاضر . (يخرج)

الياور : (يتأمل فى المرآة) هذا الصلع اللعين . لماذا جاءنى قبل الأوان ؟ أوه . . لماذا لا يولد الناس صلعا ثم يغزر شعرهم كلما تقدموا فى السن ؟

قزمان : (يعود بعدة المسح) ها هى ذى .

الياور : (يجلس على الأريكة) امسح .

قزمان : كذا بالأمر ؟ دون توسل ولا استعطاف ولا ذكر للألقاب ؟

الباور : لا وقت عندنا لهذه الثرثرة .

قزمان : كلا . لن أمسح لك ما لم تخاطبنى بألقاب الزعيم الأوحد كالعادة .

الباور : لعنة الله عليك يا قرداوى . أنت الذى ابتدعت هذه العادة السخيفة . طيب . اجلس .

قزمان : الألقاب أولا .

الباور : يا زعيمى الأوحد .

قزمان : وأنت واقف !

الباور : (متأففا) أوه . . (ينهض عن مقعده) يا زعيمى الأوحد . يا منقذ العرب . (قزمان يعد بأصابعه) يا مهدينا المنتظر . يا زعيمنا الملهم . أيها العبقرى الفذ . يا صانع تاريخ العرب . أيها الجبار الذى لا يقهر . أيها البطل العظيم . يا أبا السياسة . أيها الداهية العميق النظر . يا أخطر شخصية ظهرت فى العالم . أيها الزعيم الذى يخسف نوره أنوار الكواكب والشمس . يا قاهر الاستعمار — أتوسل إليك أن تمسح عن حذائى التراب

كما مسحت عن الأمة العربية غبار الرجعية والهوان.
(يجلس على الأريكة)
لا بأس . خادم القوم سيدهم .
الواقع أنه لم يعد يستحق شيئاً من هذه الألقاب .
ماذا تقول ؟
اكتشف الحزب أنه قد نقض العهد .
: كيف ؟
: كشف للاستعماريين السر .
: أى سر ؟
: سر وجودك أنت . . وجود الشبيه .
. ماذا يقصد من ذلك ؟
: التخلص منك ليبقى وحده كما كان .
: (فى رعب) وى ! معنى هـــذا أن الاستعماريين سيقومون باغتيالى .
: لا تخف . سنسبقهم نحن إلى الضربة .
: كيف ؟
: سنتخلص نحن من صاحبهم قبل أن يتخلصوا منك . وحينئـــذ ستكون أنت وحدك الزعيم الأوحد .
: (فى خوف) لكن . . .

الياور : لكن ماذا ؟

قزمان : أصبح هذا المكان غير مأمون . يجب أن تنقلونى إلى مكان آخر .

الياور : هذا ليس من شأنك .

قزمان : حياتى الآن فى خطر .

الياور : اطمئن سأتولى أنا بنفسى حمايتك .

قزمان : (يضرب صندوق العدة بظهر الفرشاة علامة انتهاء المسح) تفضل .

الياور : لمعته جيدا ؟

قزمان : تستطيع أن ترى وجهك فيه . (ينهض فيخرج بالعدة ثم يعود)

الياور : (يتأمل ثانية فى المرآة وينظر إلى حذائه) هيا الآن أحضر الصيد .

قزمان : لم يعد لى رغبة فى الصيد . الخبر المشئوم الذى رويته لى أفسد على كل شىء .

الياور : يا مغفل هذا خبر ينبغى أن يفرحك . ستكون أنت الزعيم الأوحد .

قزمان : إن نجوت من الموت .

الياور : ويلك . أتظننا نلعب ؟ تذكر أنى كنت ياور نورى السعيد .

قزمان : (تلحقه روعة ثم يتجلد) أعوذ بالله !

الياور : ماذا بك ؟

قزمان : أنا لا أريد أن تكون ياورا لى .

الياور : لماذا ؟

قزمان : هذه وظيفة لا تليق بمثلك . يجب أن تتقلد منصباً رفيعا فى الدولة .

الياور : والله إنك لتفهم خيرا من هؤلاء الأغبياء . ستكون زعيما أوحد بامتياز .

قزمان : شكرا يا سيدى .

الياور : هيا أحضر الصيد .

قزمان : (يتلفت حوله فى خوف) .

الياور : ماذا تخاف ؟ امرأتك وعيالك مقفل عليهم فى السرادب .

قزمان : الأفضل أن نذهب نحن إلى الحجرة الجوانية . فهناك آمن .

الياور : الصيد هناك ؟

قزمان : نعم .

الياور : لكننا نريد أولا أن نشرب هنا ونتنادم ونتباسط . (يشير إلى أوانى الخمر) .

قزمان : سنحمل البار معنا إلى هناك .

(يأخذ زجاجة الفودكا وبعض الأقداح ويساعده الياور في حمل البقية ويتوجهان نحو الباب الأوسط فيفتح قزمان الباب) .

قزمان : (على الباب) إياك أن تغلط أمامهما فتدعونى قزمان .

الياور : عيب يا قزمان .

قزمان : يا قزمان ؟ . .

الياور : يا زعيمى الأوحد . . .

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر : نفس المنظر الثانى فى مبنى وزارة الدفاع

الوقت : الصباح الباكر

(يرفع الستار عن الزعيم الأوحد جالسا على مكتبه والمدفع الرشاش فى يده بينما يدخل حاجبه « حافظ » من الباب الأيسر حاملا صينية فيها قدح من اللبن والقهوة وبعض الشطائر فيضعها على المكتب) .

الحاجب : فطورك يا سيدى .

الزعيم : أغلق الباب بالسقاطة .

الحاجب : لا تخف يا سيدى فإن غدارتى معى . (يشير إلى الغدارة فى وسطه) .

الزعيم : ولو . أغلقه بالسقاطة .

(يتوجه الحاجب نحو الباب فيغلقه بالمزلاج) .

الزعيم : (يضع الرشاش بجانبه على المكتب ويفرغ القهوة فى قدح اللبن ثم يرفع القدح مترددا يتأمل فيه تارة وينظر إلى الحاجب أخرى) .

الحاجب : أنا أعددت كل هذا بنفسى .

الزعيم : (يناوله القدح) اشرب جرعة منه .

الحاجب : أما آن لك يا سيدى أن تثق بإخلاصى لك ؟

الزعيم : على سبيل الاحتياط . فربما دس فيه أحد شيئا دون أن تعلم .

الحاجب : أمرك . (يشرب جرعة من القدح) تفضل يا سيدى .
(يناوله القدح)

الزعيم : ألا تشعر بشىء ؟ بقليل من المغص والحرقان ؟

الحاجب : أبدا يا سيدى .

الزعيم : أو بشىء من الدوار ؟ .

الحاجب : أبدا . أبدا .

الزعيم : (يشرب القدح ثم يتناول شطيرة فيقطعها إلى قطع صغيرة ويقدم للحاجب منها من أماكن مختلفة) كل هذه . وهذه أيضا . وهذه .

الحاجب : (يأكل القطع) سآتى على الشطيرة كلها ولا يبقى لك شىء .
(يأكل الزعيم ويشرب) .

الحاجب : عجبا لك يا سيدى . تبالغ فى الحذر والاحتياط مع مخلص مثلى ولا تحتاط مع أعدائك ؟

الزعيم : منذا تعنى ؟

الحاجب : أعداء البلاد . الشيوعيين والاستعماريين على السواء .

الزعيم : (فى حدة) اسمع يا حافظ . أنا أعلم أنك ميال إلى مبدأ القوميين الخونة . ولكنى تسترت عليك لثقتى بك . فلا تحملنى على كشف سرك .

الحاجب : يا سيدى هذا مبدأ السواد الأعظم من الشعب .

الزعيم : فهم جميعاً خونة .

الحاجب : أنت يا سيدى زعيم الشعب فيجب أن تكون وفيا لمبادئه ومثله .

الزعيم : (يستشيط غضبا) اسكت يا خائن . إن عدت إلى مثل هذا القول لأسوقنك إلى محكمة الشعب بتهمة الخيانة العظمى .

الحاجب : إن نويت أن تصوم الدهر فافعل .

الزعيم : ماذا تقصد ؟

الحاجب : لن تجد بعدى من تستطيع أن تثق بطعام أو بشراب يقدمه لك . (يصمت الزعيم قليلا كأنه مقتنع بهذا القول ويمضى فى أكله وشربه حتى ينتهى من فطوره ويهم الحاجب بفتح الباب) .

الزعيم : دع الباب مغلقا .

الحاجب : سأشيل هذه الصينية عن مكتبك .

الزعيم : انتظر . (يخرج من الباب الأوسط ثم يعود حاملا عدة تشبه العدة التى عند قزمان)

الحاجب : (معجبا) ما هذا يا سيدى ؟

الزعيم : اجلس على هذا الكرسى لأمسح لك .

الحاجب : أستغفر الله يا سيدى . هذا لا يصح .

الزعيم : (فى صرامة) قلت لك اجلس . إنى آمرك .

الحاجب : (يجلس) أمرك يا سيدى .

الزعيم : (يجلس بين قدمى الحاجب ويخرج أدوات المسح) .
اسمع يا حافظ راقبنى جيدا ، ونبهنى إن رأيت أى خطأ فى الحركة لا تجـــده عند المساحين المحترفين .

الحاجب : لا أدرى يا سيدى ماذا يحملك على هذا ؟

الزعيم : على سبيل الاحتياط .

الحاجب : الاحتياط لماذا ؟

الزعيم : أتريد أن تكشف سرى يا خائن ؟

الحاجب : معاذ الله .

الزعيم : إذن فاسمع وأطع ولا تسأل عن شىء لا أريد إطلاعك عليه .

الحاجب : إنما أشفق عليك من هذا العمل ؟ . . .

الزعيم : إن لى هدفا فى كل ما أعمل . وليس من عادتى أن أطلع الناس على أسرارى فاكتم هذا السر ولا تخبر به أحدا . أسمعت ؟

الحاجب : أمرك يا سيدى .

(ينتهى الزعيم من المسح فيضرب الصندوق بظهر الفرشاة كعادة المحترفين) .

الحاجب : (يخرج بعض الفلوس من جيبه بحركة لا شعورية) تفضل .

الزعيم : (ينهره) ماذا تريد أن تصنع ؟

الحاجب : (يخجل من غلطته) لا تؤاخذني يا سيدى .. لقد ..

الزعيم : لا عليك . هذا يسرني إذ يدل على نجاحي . ها . ما رأيك في هذه المسحة ؟

الحاجب : (ينظر إلى حذائه) عظيمة يا سيدى .. عظيمة .

الزعيم : (في زهو) ألم تلحظ أى خطأ في الحركة ؟

الحاجب : لا والله . لكأنما ولدت مساحا أوحد .

(يدق جرس التليفون فيجمع الزعيم أدواته في الصندوق ويسرع إلى سماعة التليفون)

الزعيم : آلو ... الزعيم الأوحد يتكلم .. من ؟ تفضل يا مستر سميث . أنا في انتظارك . في خلال نصف ساعة ؟ طيب . (يضع السماعة)

الحاجب : ماذا يريد هذا الاستعمارى من وجه الصبح ؟

الزعيم : على موعد معى من أمس .

الحاجب : حاذر يا سيدى منه . هؤلاء الإنجليز قوم شياطين .

الزعيم : (يضحك) إن الذى يستخدم الشياطين لا يخاف منهم .

الحاجب : الشيطان يا سيدى يشعرك دائما أنه يخدمك وهو يستخدمك .

الزعيم : لا تستدرجنى الآن لكشف سرى . ستعلم كل شىء فى حينه . هيا ارفع هذه الصينية .

الحاجب : حاضر يا سيدى . (يفتح الباب الأيسر ثم يأخذ الصينية ويخرج) .

الزعيم : (يأخذ عدة المسح ويخرج بها من الباب الأوسط ثم يعود) ترى هل يحمل لى البشرى ؟ (يقف أمام المرآة ليصلح هندامه) .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : القرداوى يا سيدى .

الزعيم : ماذا جاء به الساعة ؟ دعه يدخل . . اسمع ياحافظ . إذا جاء المستر سميث فدعه ينتظر فى حجرتك الخاصة حتى يخرج القرداوى من عندى .

الحاجب : حاضر ياسيدى . (يخرج ثم يدخل القرداوى)

القرداوى : أنعم صباحا يازعيمى الأوحد .

الزعيم : (يصافحه) أهلا وسهلا . . أفطرت ياقرداوى أم نأمر لك بالريوق .

القرداوى : شكرا ياسيدى قد أفطرت . وإنما بكرت إليك لأمر خطير .

الزعيم : خير . تفضل اجلس . (يجلس القرداوى) تكلم . ماذا عندك ؟

القرداوى : الاستعماريون بعثوا عميلا لهم البارحة لاغتيال قزمان فى بيته .

الزعيم : (فى اهتمام ظاهر) وأصيب ؟

القرداوى : أصيب العميل ونجا قزمان بأعجوبة .

الزعيم : كيف ؟

القرداوى : اتفق أن كان وحشى الياور عند قزمان ، فعاجل العميل بطلقة من مسدسه أردته قتيلا .

الزعيم : (يحاول جاهداً إخفاء الامتعاض البادى على وجهه) وجئت فى الصباح الباكر لتحمل لى هذه البشرى ؟

القرداوى : كلا ياسيدى . الأمر أخطر من ذلك . الحزب ساخط عليك أشد السخط .

الزعيم : على أنا ؟

القرداوى : نعم .

الزعيم : ما دخلى أنا فيما حدث ؟

القرداوى : يزعمون أنك أنت الذى أفشيت سر قزمان للاستعماريين ودللتهم على بيته وأوعزت إليهم باغتياله .

الزعيم : ما هذا اللغو ؟ . هل يعقل أن أتخلص من رجل يحمينى وجوده من الاغتيال ؟

القرداوى : يقولون إن عندهم براهين تثبت ذلك .

الزعيم : براهين ؟ أى براهين ؟

القرداوى : لم يشاءوا أن يخبرونى بها . ولكنهم يؤكدون أنها براهين ثابتة لاتقبل الشك . .

الزعيم : لابد أن وحشى الياور هو الذى وشى بى عندهم . لقد جعلوه اليوم ياورا لقزمان .

القرداوى : لا تنس أنك أنت يا سيدى الذى أبعدته عنك .

الزعيم : أبعدته لأنه صار يتآمر ضدى لحساب قزمان .

القرداوى : هذه تهمة كبيرة يا سيدى إذا نسبتها إلى وحشى فكأنك نسبتها إلى الحزب ، لأنه لا يجرؤ على مخالفة الحزب .

الزعيم : إذن خذها صريحة منى . إن الشيوعيين ينوون قتلى لينصبوا قزمان مكانى .

القرداوى : ماذا تقول يا سيدى ؟

الزعيم : هذا واضح كالشمس . لقد كانوا يبيتون لى هذه النية من أول الأمر يوم اقترحوا علىّ اتخاذ الشبيه .

القرداوى : يا سيدى لا تجعل الوساوس تذهب بك بعيدا عن الحقيقة .

الزعيم : إنى عليم ولا يخطئ ظنى أبدا . إنهم يريدون التخلص منى ليولوا قزمان .

القرداوى : لا يمكن أن يقدموا على ذلك إلا إذا خنتهم لحساب الاستعمار .

الزعيم : أنا كنت وفيا لهم إلى أبعد حد . وهم الذين خانونى .

القرداوى : إن أردت الحق فإنهم يرونك تحابى الاستعماريين على حسابهم .

الزعيم : بل كنت أحابيهم هم . فمن أجلهم قبضت على عبد السلام عارف .

القرداوى : ومن أجـــل الاستعمار قبضت على رشيد عالى الكيلانى .

الزعيم : وفى سبيلهم عاديت الجمهورية العربية المتحدة .

القرداوى : هذه عاديتها فى سبيل الاستعمار أيضا .

الزعيم : وإرضاء لهم وافقت على مجىء الأكراد الروس .

القرداوى : وإرضاء للاستعمار بالغت فى رعاية الآثوريين .

الزعيم : أجل . أنا فعلت كل هذا تطبيقاً للاتفاق السرى الذى عقدته مع الجانبين للقضاء على القومية العربية بشرط أن أبقى زعيما أوحد . ويأتى الشيوعيون اليوم فينقضون هـذا الشرط الأساسى ويريدون القضـاء على حياتى لأموت ميتة أخس من ميتة الكلب ، لأن الكلاب ترى جثته على الأقل فتعلم بموته ، أما أنا فلن يعلم بموتى أحـــد . حتى أهلى

وأقاربى . سيحل مساح الأحذية محلى ويخالط أسرتى كأنه أنا . أى مصير ألعن من هذا ؟ . .

القرداوى : ياسيدى صدّقنى . كل هذا وهم خيل إليك . إن الشيوعيين لأشد الناس إخلاصا لك .

الزعيم : إن كانوا مخلصين حقا فليخلصونى من قزمان .

القرداوى : كيف تريد منهم هذا وما جاءوا بقزمان إلا لحمايتك من الاغتيال ؟

الزعيم : قد اتضح لى الآن أن ذلك المجرم الذى حاول اغتيالى من قبل كان شيوعيا منهم .

القرداوى : ماذا تقول ؟ لقد ثبت أنه من عملاء الاستعمار .

الزعيم : بل من عملاء الشيوعيين .

القرداوى : من قال لك ذلك ؟

الزعيم : قال لى من قال لى .

القرداوى : لعل الاستعمار هو الذى زعم لك هذا ليبرئ ساحته .

الزعيم : عندى برهان على ذلك .

القرداوى : أى برهان ؟

الزعيم : ألم يزعم الشيوعيون أنهم قتلوه ؟

القرداوى : بلى . . حكموا عليه بالموت عقوبة له .

الزعيم : فهو حى يرزق حتى اليوم . لقد كافأوه فأسندوا إليه منصبا هاما فى البصرة .

القرداوى : هذه اكذوبة من أكاذيب الاستعمار .

الزعيم : أنا متأكد مما أقول .

القرداوى : ياسيدى ليس من مصلحتك أن تعادى الشيوعيين .

الزعيم : هم الذين بادءونى بالعداوة .

القرداوى : صدقنى إنهم ليجلونك ويحبونك .

الزعيم : فليثبتوا ذلك إن كانوا صادقين . ليخلصونى من قزمان .

القرداوى : أهذا شرطك الأول والأخير ؟

الزعيم : نعم . إنى ان أطمئن أبداً مادام قزمان حيا يرزق .

القرداوى : وإذا خلصوك منه ؟

الزعيم : سأكون طوع أمرهم فى كل شىء .

القرداوى : وتشهد الحفلات بنفسك ؟

الزعيم : نعم . اغتيال فى مشهد من الناس ولا ميتة يأباها حتى الـكلاب .

القرداوى : تأذن لى أن أفاوضهم فى ذلك ؟

الزعيم : افعل .

القرداوى : (ينهض) يجب ان أسرع قبل الأوان . ينبغى أن أصلح بينـــك وبين الشيوعيين بأى ثمن .

(يخرج مسرعا) .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : (بصوت خافض) الشيطان يا سيدى قد حضر .

الزعيم : (فى هيئة الغاضب) المستر سميث ؟

الحاجب : نعم

الزعيم : دعه يدخل .

(يخرج الحاجب ثم يدخل المستر سميث)

سميث : جود مورننج . (يصافحه)

الزعيم : باد مورننج .

سميث : ماذا بك يا فخامة الزعيم الأوحد ؟

الزعيم : ألا تعرف ماذا بى ؟ قزمان . . قزمان ما زال حيا يرزق .

سميث : أوقد بلغك الخبر ؟

الزعيم : بلغنى يا سـيدى . بلغنى مصرع الخائب الذى أرسلتموه .

سميث : هارد لك . لكن من الذى بلغك الخبر ؟

الزعيم : القرداوى .

سميث : هو الذى كان عندك الساعة ؟

الزعيم : نعم .

سميث : أراك تثق به أكثر مما ينبغى .

الزعيم : إنه قريبى .

سميث : لكن هواه مع الشيوعيين .

الزعيم : بل هواه معى قبل كل شيء .

سميث : أنت لا تعرف هؤلاء الشيوعيين . لا يتورعون أبدا أن يدفعوه هو إلى اغتيالك .

الزعيم : كلا . مستحيل أن يخوننى .

سميث : إن لهم أساليب فى الإكراه لا تخطر على بال الشيطان .

الزعيم : (متضايقا) أوه . دعنى الآن من حديث القرداوى . وقل لى ما العمل فى قزمان ؟

سميث : لا تهتم . سنعاود الكرة ولن يسلم مرة أخرى .

الزعيم : سيحتاط الشيوعيون لحمايته منذ اليوم .

سميث : ليحتاطوا ما شاءوا . فلن ينجو من أيدينا أبدا . إن لنا نحن أساليبنا .

الزعيم : كيف ؟ ماذا تنوون أن تفعلوا ؟

سميث : لا داعى لأن تعرف . ما عليك إلا أن تثق بنا .

الزعيم : أرجوك يا مستر سميث . أريد أن أطمئن .

سميث : تعدنى بألا تخبر أحدا ؟

الزعيم : أعدك .

سميث : ولا القرداوى قريبك ؟

الزعيم : ولا القرداوى قريبى .

سميث : أقسم على ذلك .

الزعيم : أقسم بالله .

سميث : (يلتفت يمنة ويسرة) سنوعز بهذه المهمة إلى أحد الشيوعيين أنفسهم .

الزعيم : (مدهوشا) أحد الشيوعيين ؟

سميث : نعم .

الزعيم : كلا . لا تفعلوا . هؤلاء لا يمكن الاعتماد عليهم .

سميث : يا سيدى إن منهم من نثق به أكثر من عملائنا أنفسهم .

الزعيم : كيف ؟

سميث : إنهم من عملائنا القدماء المستورين .

الزعيم : (فاغرا فاه من الدهش) عجيب . لا أكاد أصدق .

سميث : لكى أزيدك طمأنينة إلى حمايتنا لك لا بأس أن أخبرك بأن فى حرسك هنا من يعملون لنا .

الزعيم : لا تبالغ يا مستر سميث . هؤلاء الحرس قد وضعهم الشيوعيون أنفسهم .

سميث : أجل . وضعهم الشيوعيون ولكنهم يعملون لحسابنا . (ينظر فى ساعته فينهض) .

الزعيم : (فى خوف) كلا . لا تتركنى اليوم يا مستر سميث . إنى خائف . . إنهم سيغتالوننى لاريب .

سميث : لا تخف . إنى هنا لحمايتك .

الزعيم : فابق إذن عندى .

سميث : إنهم ينتظرون الآن خروجى من عنـــدك . فسأوهمهم أنى خرجت لنرى ماذا يصنعون .

الزعيم : سيقتلوننى بلا ريب .

سميث : إنى سأخرج من البـاب الأمامى لأوهم الحرس بخروجى . ولـكنى سأعود فى الحال من الباب الخلفى حيث لا يعلم بعودتى أحد .

الزعيم : والحرس هناك ؟

سميث : حرس الباب الخلفى تبع لنا . اطمئن . لا تقفل هذا الباب . اتركه مردودا ليسهل على الدخول . (يخرج) (يبقى الزعيم وحده فى حيرة . يهم بغلق الباب ولـكنه يتراجع فيتركه مردودا ويغلبه الخوف فيذرع المـكان ذهابا وايابا . يأخذ مدفعه الرشاش ثم يلقيه مكانه على المـكتب ويخرج مسدسه فيقلبه فى كفه وعينه عالقة بالباب) .

الزعيم : (يسرح فى أوهامه ويتمتم) إن من الشيوعيين عملاء للاستعمار . . من كان يخطر له هـذا على بال ؟ أفلا يجوز كذلك أن يوجد العكس ؟ ياويلتنا . ماذا أصنع ؟ الحرس ببابى إما عملاء لهؤلاء أو لهؤلاء . لم لا يكون لى حرس من بنى قومى المخلصين ؟ لقد أصاب عبد الناصر إذ رفض تدخل هؤلاء وهؤلاء

على السواء . ياليتنى اتبعت سبيله . زعيم أوحد !
ما قيمة هذا اللقب لمن لا يأمن على حياته . ؟ .

(يعود سميث متسللا برفق ويوصد الباب من خلفه)

سميث : (بصوت خافض) ها أنذا الآن عندك دون أن يعلم بوجودى أحد ولا حاجبك .

الزعيم : ألم يرك حاجبى ؟

سميث : لا . حرصت على ألا يرانى .

الزعيم : حتى لو رآك فإنه رجل أمين . هو الوحيد الذى أستطيع أن أعتمد عليه .

سميث : دعنى من حاجبك الآن . واستعد لأمر خطير !!

الزعيم : (فى ارتياع) أمر خطير !

سميث : ملحقهم العسكرى المسيو جوردنيف آت لزيارتك.

الزعيم : كيف عرفت ؟

سميث : من مخابراتنا .

الزعيم : ليس بينى وبينه موعد . سأعتذر عن مقابلته .

سميث : كلا . لا تفعل . هذه فرصة لكشفهم لا ينبغى أن نضيعها .

الزعيم : أخشى أن تكون نيته . .

سميث : لا تخف . أنا هنا عندك . (يتوجه نحو الستارة المرخاة

على الباب الأوسط كأنه يجرب الاختباء خلفها ثم يعود مسرعا ناحية المكتب) أبعد مدفعك هذا ومسدسك .

الزعيم : لماذا ؟

سميث : فى وجودهما هنا خطر عليك .

الزعيم : كيف ؟ ربما أحتاج إليهما للدفاع عن نفسى .

سميث : إن كان يريد بك سوءا فسيدفعه وجود السلاح معك إلى مباغتتك .

الزعيم : ولماذا لا أباغته ؟

سميث : إذن تفسد علينا كل شىء .

الزعيم : لكن . .

سميث : لا وقت للجدال يا سيدى . أطعنى فأنا أعرف بهؤلاء منك .

(يأخذ هو المدفع والمسدس فينطلق بهما إلى الحجرة الداخلية) .

(يقرع الباب الأيسر) .

الزعيم : من ؟

الحاجب : (صوته) أنا حافظ يا سيدى .

سميث : (مختبئا خلف الستارة بصوت خافض) افتح له .

(يفتح الزعيم الباب فيدخل الحاجب) .

الزعيم : ما وراءك ؟

الحاجب : مسيو جوردنيف يلتمس مقابلتك فى أمر هام .

الزعيم : أين هو ؟

الحاجب : فى قاعة الانتظار .

الزعيم : قل له يتفضل . (يخرج الحاجب)

سميث : (يظهر من مخبئه) تجلد . تشجع . لا تخف . سأكون أنا فى تمام اليقظة . (يومئ إلى مسدسه ويعود إلى اختبائه) .

(يدخل المسيو جوردنيف) .

جوردنيف : سلام عليكم .

الزعيم : وعليكم السلام . تفضل .

جوردنيف : هل لى أن أغلق هذا الباب فإنى أريد أن أكلمك فى أمر خطير .

الزعيم : (يغالب رعبا شديدا) سأغلقه بنفسى . (يغلق الباب)

جوردنيف : (يتفقد الباب ليتأكد من إغلاقه) حسنا . لنجلس الآن نتصارح — من ذا الذى كان عندك ؟

الزعيم : (يتلعثم) كان عندى . .

جوردنيف : مستر سميث ؟

الزعيم : نعم . مستر سميث .

جوردنيف : ماذا قال لك ؟

الزعيم : لم يقل شيئا . تحدث معى فى شئون عامة .

جوردنيف : اذكر لى كلامه بالحرف .

الزعيم : لكن يا مسيو جوردنيف لا حق لك أن تطالبنى بمثل هذا . ليست هذه أول مرة أستقبل فيها المستر سميث أو غيره .

جوردنيف: أجل . ولكنك اليوم مطالب بأن تخبرنى .

الزعيم : هذا مخالف للاتفاق الذى بيننا . فليس من حقك ولا من حق سميث أن يطالبنى بأن أنقل لأحدكما حديثى مع الآخر .

جوردنيف: (يتطلع إلى الزعيم كأنه يريد أن يتأكد أنه لا يحمل سلاحا) معك مسدسك ؟

الزعيم : (يرتاع) لا ليس معى . ماذا تريد أن تصنع به ؟

جوردنيف: (يطمئن إلى عدم وجود السلاح مع الزعيم) لا شىء . تذكرت الآن أنك تحمل مسدسا إنجليزيا ، فأردت أن أريك ما لهذا المسدس الروسى من مزايا عديدة لا توجد فيه (المسدس فى يده) انظر ! إنه من النوع الكاتم الذى لا صوت له . (يناوله المسدس) خذ . قلبه فى يدك . تفرج عليه .

الزعيم : (يقلب المسدس فى يده) جميل .

جوردنيف: أعجبك ؟ أتريد واحدا مثله ؟

الزعيم : لا مانع .

جوردنيف. (يسترجع المسدس) لولا حاجتى إليه الآن لأعطيته لك .

الزعيم : (تلحقه روعة من هذا التهديد المستتر ولكنه يتجلد) شكرا .

جوردنيف: أنت بعثت القرداوى ليفاوضنا . . ؟

الزعيم : نعم . .

جوردنيف: وتشترط علينا أن نخلصك أولا من قزمان ؟

الزعيم : نعم . .

جوردنيف: وفى نفس الوقت تواطأت مع الاستعمار ليحاول اغتياله مرة أخرى بعد ما فشلت المحاولة الأولى ؟

الزعيم : كلا . هذا غير صحيح .

جوردنيف: ها . أتظن أن فى وسعك أن تستغفلنا وتخدعنا ؟ لقد دار حديثك اليوم مع المستر سميث حول تدبير خطة جديدة لاغتيال قزمان .

الزعيم : أبدا . لقد تركت أمر قزمان إليكم أنتم .

جوردنيف حدثنى عن الخطة .

الزعيم : أى خطة ؟

جوردنيف: لا تتجاهل . الخطة الجديدة التى رسمتماها لاغتيال قزمان .

الزعيم : أنا لم أرسم شيئا .

جوردنيف: هو الذى رسم . . اذكر لى الخطة التى رسمها .

الزعيم : . . . ؟

جوردنيف : (يصوب نحوه المسدس) تكلم . . وإلا . . .

الزعيم : حاضر . حاضر . نح هذا المسدس عنى .

جوردنيف : تكلم أولا .

الزعيم : حاضر يا سيدى . حاضر .

سميث : (مصوبا غـــدراته من خلف جوردنيف) ضع مسدسك على المكتب وإلا أطلقت عليك . أنا سميث . ضعه فى الحال .

(يضع جوردنيف المسدس على المكتب فيلتقطه الزعيم) .

سميث : انهض وارفع يديك . (ينهض جوردنيف رافعا يديه فيفتشه سميث فلا يجد شيئا فيمد إليه يده محييا) أهلا مسيو جوردنيف . أنا سعيد بلقائك تفضل . دعنا نجلس و نتفاهم . (يجلس الثلاثة) .

جوردنيف : (الذى كان صامتا طوال الوقت) أهذا مصير الاتفاق الذى بيننا يا مستر سميث ؟

سميث : يا عزيزى مسيو جوردنيف هذا سؤال ينبغى أن توجهوه إلى أنفسكم .

جوردنيف : أنتم الذين بدأتم بنقض الاتفاق .

سميث : أتعنى ماكان من محاولة اغتيال قزمان ؟

جوردنيف : نعم .

سميث : هل ورد فى الميثاق شىء عن قزمان هذا ؟

جوردنيف: لا لم يكن له وجود إذ ذاك ، ولكنه أصبح اليوم ضروريا لحماية الزعيم الأوحـــد من اغتيالات القوميين.

سميث : إنكم لم تستشيرونا فى اتخاذ هذا الشبيه .

جوردنيف: ليس علينا أن نستشيركم ما دمنا قد اتفقنا على ذلك مع صاحب الشأن نفسه . مع الزعيم الأوحد .

سميث : اتفقتم مع الزعيم الأوحد على اتخاذ هذا الشبيه أمس ليكون حماية له من الاغتيال . أفليس للزعيم الأوحد أن يتفق معنا اليوم على تنحية قزمان بعد ما اتخذتموه وسيلة لإرغامه على ما لا يريد ، وإلا نحيتموه وأحللتم قزمان مكانه ؟

جوردنيف: كلا . هذا غير صحيح .

سميث : فما حرصكم إذن على حماية قزمان ؟

جوردنيف: من أجل حماية الزعيم الأوحد .

سميث : أتكون حماية الزعيم الأوحد عندكم بتنحيته وإحلال غيره مكانه ؟

جوردنيف: (غاضبا) كف عن توجيه هذه التهمة إلينا من فضلك .

سميث : هذه التهمة ليست من عندى . إنها من عند صاحب الشأن نفسه .

جوردنيف: أنتم الذين أفسدتموه علينا بدسائسكم .

سميث : هل ترضى أن يكون الزعيم الأوحد حكما بيننا ؟

جوردنيف: الآن وقد نجحتم فى الوقيعة بيننا وبينه ؟

سميث : دائما تتهموننا بالباطل .

جوردنيف: الدنيا كلها تعرف مكائدكم ودسائسكم .

سميث : (يتنهد) هيه . . ما أرى هذا الجدال ينتهى بنا إلى نتيجة .

جوردنيف: أى نتيجة تريد ؟

سميث : كان ينبغى أن نتقيد بالميثاق ونتناسى خصومتنا إلى حين حتى نقضى على عدونا المشترك . ولكن يبدو أن حظه خير من حظنا وأن الأقدار قد هيأته حقا ليحقق الوحدة العربية الكبرى من المحيط إلى الخليج .

الزعيم : (بعد طول صمت) كلا . لا ينبغى أن تتركوه . إنه سيقضى على مصالحكم فى الشرق . إنه لا يؤلب عليكم العرب وحدهم بل يؤلب شعوب آسيا وإفريقيا كذلك . (يلتفت إلى جوردنيف) وأنتم أيضا يجب أن تقضوا عليه إذا أردتم لمذهبكم أن ينتصر فى الأرض . إنه يحاربكم بالدين ، ويؤلب عليكم قوى الرجعية ، ويناصر المنشقين عن صفوفكم

بدعوى الحياد الإيجابى وعدم التبعية ، ولن يهدأ له بال حتى تسود التيتوية فى كل جمهورية شعبية .

جوردنيف: كلام منمق جميل . ولكن لو كان الزعيم الأوحد يعنى ما يقول لما شغل نفسه بأمر قزمان عن ذلك الخطر الحقيق .

الزعيم : أنتم الذين شغلتمونى به إذ جعلتم منه خطرا لا يهدد زعامتى فحسب ، بل يهدد حياتى ذاتها .

سميث : ما رأيكم لو دفنا الماضى بخيره وشره وتعاهدنا من جديد على احترام الميثاق والتقيد به ، مهما تكن الظروف ، حتى نصل إلى هدفنا المنشود ؟

جوردنيف : نحن على استعداد .

الزعيم : على شرط أن تخلصونى أولا من قزمان .

جوردنيف : سمعت يامستر سميث ؟

الزعيم : أنا لا أطمئن أبدا ما دام على قيد الحياة .

سميث : ماذا يضيرنا أن نجيبه إلى طلبه ؟ وما قيمة قزمان هذا حتى نضحى فى سبيله بهدفنا الأكبر ؟ لقد ضحينا نحن بغوردون فى السودان من أجل غاية أصغر من غايتنا هذه بكثير . وكذلك فعل زعيمكم الأكبر لينين إذ أطاح بكثير من زعماء بلاده من أجل تحقيق غايته (يومىء له خفية أن يقبل) .

جوردنيف : لقد كنا حريصين على بقاء قزمان لحمايتك من

الاغتيال . أما وقد أصررت على مطلبك فسنأتيك براس قزمان يتدحرج امامك .

سميث : الآن وقد اتفقنا من جديد اسمحا لى أن أقدم نصيحة ملؤها الإخلاص لقضيتنا المشتركة . إن فرق المقاومة الشعبية قد أصبحت خطرا يهدد النظام القائم بما ترتكبه من أعمال أقل ما يقال عنها إنها تستفز جماهير الشعب للثورة . فعلى الحكومة أن تقف منها موقفا حازما و إلا ضاع كل شيء .

جودرنيف : (فى حدة) هأنتذا تنقض الميثاق من قبل أن تقوم من مكانك . إنما تنكرون على فرق المقاومة الشعبية لأنها تعمل فى صفنا ، ولو كانت تعمل فى صفكم لكان نصيبها منكم الثناء والحمد .

سميث : دائما تسيئون بنا الظن . حسنا . دعوها تعيث فسادا فى البلاد لتهدم كل ما نبنيه ، ولتنشر السخط فى النفوس حتى ينفجر بركانها بغتة فى ثورة مدمدمة !!

(يرن جرس التليفون) .

الزعيم : آلو . مستر سميث ؟ نعم هو هنا . تفضل يامستر سميث من سفارتك .

سميث : (يتناول السماعة) يس . أوه يس . يس يس يس يس يس . (يضع السماعة ويتوجه مسرعا نحو الباب ليخرج) .

الزعيم : (ينظر إلى جوردنيف فى قلق وخوف) .

جوردنيف : أعطنى مسدسى من فضلك .

الزعيم : (يزداد خوفه) مسدسك ؟ ألست تنوى إهداءه لى ؟

جوردنف : لا . ليس الآن أعطنى أياه .

الزعيم : لا أدرى أين وضعته . (يتظاهر بالبحث عنه) .
(يرن جرس التليفون فيأخذ الزعيم السماعة) .

الزعيم : ألو . . نعم هو هنا عنـــدى . تفضل يا مسيو جوردنيف من سفارتك .

جوردنيف : (يتناول السماعة) ألو . دا . . دا . . دا دا دا دا .
(يضع السماعة وينطلق خارجا على عجل) .

الزعيم : (يتنفس الصعداء) نسى مسدسه . الحمد لله . (يتغير وجهه) لكن ما معنى كل هذا ؟ (يرتعد من الخوف) ماذا جرى ؟
(يدخل القرداوى وهو يلهث ويرتعد من الخوف) .

الزعيم : ماذا حدث ؟

القرداوى : (يدور فى الحجرة كالمجنون لا يستقر فى مكان) الثورة ! الثورة !

الزعيم : الثورة ؟ . أين ؟

القرداوى : فى كل مكان . فى الشمال والجنوب . فى كركوك

والموصل والبصرة والنجف والرمادى . فى كل مكان .

الزعيم : وماذا صنعتم ؟

القرداوى : لم نصنع شيئا .

الزعيم : تبا لكم . امسك الهاتف .

القرداوى : (يرفع السماعة) مسكت الهاتف .

الزعيم : اتصل بالقيادة .

القرداوى : القيادة ؟

الزعيم : قيادة الجيش .

القرداوى : الجيش ؟ لا لا . الجيش معهم . الجيش مع الثورة .

الزعيم : تبا لك . هات . (يأخذ السماعة ويهم بإدارة الرقم) ما الرقم ؟ . أعطنى الرقم . .

القرداوى : نسيت الرقم .

الزعيم : خيبك الله . شاطر فقط فى المحكمة .

القرداوى : (فى ارتياع) المحكمة ! يا ويلى من المحكمة ! سيضعوننى فى القفص ويقذفون يافوخى بالأحجار والخطب .

الزعيم : (ينهره) اسكت . (ينظر فى مفكرته) ها هو ذا الرقم .

القرداوى : كلا . لا تتصل بالقيادة . لا ترشدهم إلى مكاننا . يجب أن نهرب قبل أن ينتشر الخبر فى العاصمة .

الزعيم : (يرتجف من الخوف) اسكت يا جبان . (يشرع فى إدارة الرقم) أنا لست جبانا مثلك . أنا الزعيم الأوحد .

القرداوى : فى أمان الله إذن . (يخرج منطلقا) .

الزعيم : (يتوقف عن إدارة الرقم ويرمى السماعة) قبل أن ينتشر الخبر فى العاصمة (يسرع إلى الباب فيقفله بالمزلاج ، ثم يدخل الحجرة الداخلية فيعود بالمدفع الرشاش والمسدس ، فيضع المسدس فى جيبه ويصوب المدفع ناحية الباب ، ثم يلقى المدفع على المكتب ويخرج المسدس ، ثم يلقيه هو أيضا على المكتب ، ويدخل الحجرة الداخلية مرة أخرى ويعود بعدة المسح) هذه أفضل . لكن أين ثياب قزمان ؟ أين خبأتها ؟ فى الصوان . فى الصوان . (يدخل الحجرة مرة ثالثة ويغيب قليلا ثم يعود وقد ارتدى ثيابا قديمة بالية كتلك التى يلبسها فقراء العمال ويشم ثيابه فيتأفف) رائحة لا تطاق .

(يتناول عدة المسح فيقف أمام المرآة) قزمان تماما ! (يتفل فى المرآة) تف يا وجه النحس . كل المصائب منك . (كأنما ينتبه لوجوب الإسراع) قبل أن ينتشر الخبر فى العاصمة . . (يتوجه نحو الباب فيسحب المزلاج ويهم بفتح الباب ولكنه يتراجع نحو المكتب) المسدس ! (يضع المسدس فى جيبه) هذا للدوت .

(يحمل المدة ثانية) . وهذه للحياة . (يتوجه نحو الباب ليخرج) .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : (مدهوشا) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! ماذا تصنع هنا ياهذا ؟

الزعيم : (يغير صوته) كنت أمسح للزعيم الأوحد .

الحاجب : وأين هو ؟

الزعيم : فى الحجرة .

(يدخل الحاجب الحجرة وينسل الزعيم خارجا من الباب الأيسر) .

الحاجب : (صوته من داخل الحجرة) لم أجده فى الحجرة . أين ذهب الزعيم الأوحد ؟

(يعود فينظر حوله فلا يجد أحداً فيقف مدهوشا فاغرا فاه) .

ســــتار

الفصل الرابع

المنظر : (مقهى الحاج عبد المؤمن . نفس المنظر فى الفصل الأول).
الوقت : قبيل العصر .

(يرفع الستار فنرى باب المقهى مقفلا ونجد عبد المؤمن وزوجته خديجة وابنته فاطمة جالسين حول المنضدة بجوار البوفيه)

(عبد المؤمن يقرأ القرآن من مصحف فى يده وخديجة تنقى حبوب الرز فى طبق أمامها وفاطمة منهمكة فى شغلها الصوف)

عبد المؤمن : (يتلو بصوت مسموع) هل أنبئكم على من تنزَّلُ الشياطين . تنزَّلُ على كل أفاك أثيم يُلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتّبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلِموا . وسيعلم الذين ظلموا أىّ مُنقلَبٍ ينقلبون . صدق الله العظيم .

المرأتان : صدق الله العظيم .

(يطبق المصحف)

عبد المؤمن : كان هذا المصحف هو سلوتى الوحيدة فى السجن ، ولولاه لفقدت رشدى وجننت .

خديجة : وكان سلوتنا نحن أيضا يا عبد المؤمن . كانت فاطمة تقرأ لى ما تيسر منه فتطمئن قلوبنا ونثق أن الله سيحفظك لنا ويعيدك .

فاطمة : أجل يا أبى ببركة كتاب الله رجعت إلينا سالما .

عبد المؤمن : تصوروا . كانت الطغمة الباغية تريد أن تحرمنا هذا النور .

فاطمة : الحمد لله إذ انتقم منهم وأرانا نهايتهم .

عبد المؤمن : (ينظر إلى الصورتين المعلقتين لعبد السلام عارف وجمال عبد الناصر) الحمد لله . أتذكرين يابنتى يوم كنا نعلق الصور ونشيلها ؟

فاطمة : كانت حكاية !

عبد المؤمن : اتضح لى فى السجن أنها ليست حكايتنا وحدنا ، وكثير من الناس كانوا يفعلون ذلك فى بيوتهم .

خديجة : (يغلبها البكاء) حكمتك يا رب وإرادتك .

عبد المؤمن : خديجة . ماذا بك ؟

فاطمة : تبكى يا أبى من أجل أخى حسين .

عبد المؤمن : مازلت تبكين ذلك الولد العاق الذى أراك صنوف العذاب بعد ما رمانى أنا فى السجن ؟

خديجة : ابنى يا عبد المؤمن وابنك !

عبد المؤمن : يا عزيزتى ! هل أنا وأنت أفضل عند الله من نبيه نوح عليه السلام ؟

خديجة : أستغفر الله يا عبد المؤمن . أين نحن من الأنبياء عليهم السلام ؟

عبد المؤمن : اذكرى لأمك يا فاطمة ماذا خاطبه الله عزوجل فى ابنه العاق .

فاطمة : قال يانوح إنه ليس من أهلك . إنه عمل غير صالح .

خديجة : فاهمة . فاهمة . لكنى كنت أرجو ألا يقتلوه . كنت أقول لنفسى : اصبرى يا خديجة . غدا يسقط هؤلاء الظلمة ويخرج أبوه من السجن فيرشده إلى الصواب . أليس يكون ذلك خيرا ياعبد المؤمن من أن يموت على . . على الكفر ؟ (تنخرط فى البكاء) .

عبد المؤمن : هذا قضاء الله يا خديجة . لقد كان خيرا لنبينا نوح أيضا لو نجا ابنه من الطوفان عسى أن يهتدى بعده إلى الحق . ولكن الطوفان يا خديجة هو الطوفان . وعلينا أن نرضى بقضائه فيما كان .

خديجة : طيب يا عبد المؤمن . أنا راضية وصابرة . . بس لو .

عبد المؤمن : لو ماذا ؟

خديجة : لو تنادينى يا أم حسين كالعادة . وأقول لك أبو حسين . . لا يصح أن نشطب اسمه كأنه لم يولد لنا قط .

فاطمة : أجل يا أبى . قد مات فلا داعى لأن تقسو عليه أو على أمى من أجله .

عبد المؤمن : كنت والله أقصد الخير لأمك ولنا جميعا حتى لا ...

فاطمة : تؤلمنا ذكراه ؟

عبد المؤمن : نعم .

فاطمة : لكن والدتى ترى غير هذا كما تعلم .

عبد المؤمن : طيب يا أم حسين . سأناديك دائما يا أم حسين .

خديجة : (تتحادر الدموع من عينيها وتقبل رأسه) ممنونة يا أبا حسين . . الله يخليك لنا يا أبا حسين . اليوم أستطيع أن أحمل نفسى على الصبر والسلوان .

فاطمة : (تنظر إلى الساعة فى معصم أبيها) الله ! سرقنا الوقت يا أبى . هذا ميعاد فتح القهوة .

عبد المؤمن : يسيرة يا بنتى . لا شيل صور ولا حط صور .

فاطمة : صحيح .

عبد المؤمن : ووجبت صلاة العصر .

خديجة : أحضر لك الوضوء يا أبا حسين ؟

عبد المؤمن : شكرا يا أم حسين . أنا متوضى . افتحى الباب يا فاطمة .

خديجة : أنا سأفتح الباب . انزلى أنت يا فاطمة إلى السرداب فأيقظى ضيفنا المسكين ليسترزق (تخرج فاطمة) .

عبد المؤمن : مسكين هل نزلتم له شيئا من الطعام اليوم ؟

خديجة : طبعا يا أبا حسين . كل يوم ننزل له فى الميعاد .

عبد المؤمن : بوركت يا أم حسين . هذا أفضل عمل عند الله : إيواء الخائف وإغاثة الملهوف . (يخرج)

(تفتح أم حسين باب المقهى وترتب المناضد والمقاعد ثم تدخل إلى البوفيه فتشعل موقد الغاز وتصف الفناجين والأكواب وكل ما يتصل بذلك)

(تدخل فاطمة)

خديجة : صحيت الرجل ؟

فاطمة : نعم . هل تريدين منى أى مساعدة يا ماما ؟

خديجة : لا يا بنتى ادخلى أنت فاستذكرى دروسك . تذكرى أن المدارس ستفتح من جديد . وقد ضاعت عليك سنة ولن يصبر خطيبك عليك سنة أخرى . سامعة ؟

فاطمة : سامعة يا ماما . (تخرج)

(يدخل النزيل من الباب الأيسر حاملا عدة المسح ، وقد عصب شاشة حول رأسه فسترت شطرا من وجهه يشمل إحدى عينيه ، وهو يرتدى ثيابا تشبه الثياب التى ارتداها الزعيم الأوحد حينما سمع بأنباء الثورة فى نهاية الفصل السابق) .

النزيل : مساء الخير يا ست أم حسين .

خديجة : مساء الخير يا قزمان . خذ اشرب شايك .

(تقدم له قدحا من الشاى على منضدة البوفيه)

النزيل : شكرا يا أم حسين . (يشرب الشاى وهو واقف أمام البوفيه)

(تسمع أصوات مظاهرة تعبر أحد الشوارع)

النزيل : (فى قلق) متى تنتهى هذه المظاهرات ؟ ألم ينته كل شيء ؟

خديجة : أنا أيضا لا أحب سماعها . إنها تذكرنى بابنى حسين .

الأصوات : (تتضح من بعيد) قومية عربية ! لا شرقيـــة ولا غربية ! لا استعمارية ولا تبعية ! الموت للشيوعيين الخونة !

(يدخل عبد المؤمن من الباب الأيسر)

عبد المؤمن : ما شاء الله . ما شاء الله . الشعب فى سرور وابتهاج (يلاحظ القلق على النزيل) لا تخف يا قزمان . فى هيئتك هذه لن يعرفك أحد . أنت هنا فى أمان إن شاء الله .

(يتوافد الرواد ومن بينهم الشاعر القرندلى الذى يجلس فى ركنه المختار كما فى الفصل الأول وقد استبدل برباط عنقه الأحمر رباطا أخضر . يتحرك عبد المؤمن ليلبى طلبات

الرواد بينما يمسح النزيل حذاء أحدهم وعلى وجوه الجميع دلائل البهجة والانشراح) .

الشاعر : إخوانى الأعزاء ، فى وسعكم اليوم أن تتحدثوا بصوت خافض فلن يتهمكم أحد بالتآمر على سلامة الدولة .

رجل ١ : ولماذا نتحدث بصوت خافض ؟ البلاد فى فرح وعلينا أن نصخب ونطرب ونشرب ونلعب .

الآخرون : أجل . أجل . قد ذهب عهد الكبت والإرهاب إلى غير رجعة .

الشاعر : لكن الشعر . أنا هنا أستوحى الشعر .

رجل ١ : لا حاجة بنا إلى شعرك .

الشاعر : فى الإشادة بثورة الأمة ، والابتهاج بزوال الغمة .

رجل ١ : ثورة الأمة فى غنى عن قصائدك .

(يتضاحك الآخرون)

الشاعر : أنتم تدينون بمذهب الفن للفن ؟

رجل ١ : لا ندرى ماذا تقول ؟

الشاعر : سأشرح لكم . الفن للفن ، مذهب . . .

رجل ١ : (يقاطعه) اشرحه لنفسك .

رجل ٢ : فى بيتكم !

الشاعر : نحن نستقبل اليوم عهد حرية وتقدم ، فيجب أن تعرفوا .

رجل ١ : يجب أن نعرف أن لك قصائد فى الزعيم المخذول والقرداوى المخبول وأنك من شعراء محكمة السب .

رجل ٢ : ولولا العفو العام عن كل ما سلف من جرائم القدح والمدح لما كنت بيننا اليوم .

الشاعر : (بكل هدوء) أجل هذا فرق ما بين العهدين : عهد العبودية وعهد الحرية . إنى لو لم أجار العهد القاسمى البائد لما أمكننى أن أعيش لأتغنى بمحاسن هذا العهد الرائع وأخلده فى سجل الزمن .

رجل ٢ : (هاتفا) يا قرندلى ! . يا قرندلى ! .

رجل ١ : من السهل يا قرندلى أن تنظم قصائد الشعر ، ولكن من الصعب أن تجد اليوم من يسمعها منك .

الشاعر : صدقت يا أخى . إن لم يسمعها جيل اليوم فستترنم بها الأجيال القادمة . هذا عيب الشعراء الذين يسبقون زمنهم .

رجل ٢ : بل أنت متأخر عن زمنك بقرون .

(يضحكون)

الشاعر : لم تضحكون ؟ هذا حق . أنا واحد من اثنين : إما

أنى سبقت زمنى وكان يجب أن يتأخر ظهورى حتى يستعد الناس لفهم شعرى . وإما أنى تأخرت عن زمنى وكان يجب أن أظهر فى عصر أبى تمام والبحترى والمتنبى وغيرهم من عباقرة الشعر .

رجل ٢ : (هاتفا) يا قرندلى ! . يا قرندلى !

الجميع : (كأنهم بدأوا يستخفون ظله وزال عنهم شعور الكراهية نحوه) يا قرندلى . . يا قرندلى .

الشاعر : (مبتهجا لهذه النتيجة) هل أسمعكم الآن شيئا من شعرى ؟

رجل ٢ : لا يا قرندلى . أنت سابق لزمانك فلا نستطيع أن نفهم شعرك .

الشاعر : سألقيه عليكم إلقاء يجعله يتسلل إلى أرواحكم :

رجل ١ : (فى استنكار) يتسلل ؟

الجميع : (ساخطين) يتسلل ؟ يتسلل ؟

الشاعر : لعنة الله على الشيوعيين ، لقد أفسدوا مدلول هذه الكلمة كما أفسدوا كل شىء . .
أفسدوا مدلول الديمقراطية ومدلول الاشتراكية ومدلول السلام . وفى الفن أفسدوا مدلول الواقعية .
أنا أقصد يا إخوانى . يتسرب إلى نفوسكم . الشعر

أيها السادة لا الشيوعية . (فى تفخيم وتبجيل) الشعر!
هيا استمعوا الآن إلى شعرى .

كلا لا نريد الشعر . قد كرهنا الشعر من طول
ما كنتم تقبئونه فى محكمة السب .

(يصمت قليلا ويقلب بصره فى الحاضرين كأنه يريد
أن يستكشف ما يرغبون فيه) أنتم فى حاجة إلى
الترويح الآن ؟

نعم . نعم .

ما رأيكم لو رويت لكم نكتا تضحككم ؟

طيب . . طيب هذا ما نريد . نكت لنا يا قرندلى
ونحن نستمع لك .

على شرط أن تستمعوا أولا إلى شىء من شعرى .

ما هذا ؟ أتريد أن نفرض شعرك علينا ضريبة ؟

أى ضريبة يا قوم ؟ تلك هدية منى إليكم لترقيق
مشاعركم والسمو بعواطفكم .

القوم يريدون نكتك ولا يريدون شعرك .

أجل نريد النكت فقط .

لكن من قال لكم إننى قرّاد أو مهرج ؟ أنا قبل كل
شىء شاعر من الطبقة الأولى .

رجل ٢ : نحن لا ننكر أنك شاعر ولكننا نريد أن نسمع نكتك .

الشاعر : طيب . تستمعون بعدها إلى شعرى؟

رجل ٢ : ما رأيكم يا قوم ؟ (يغمز لهم بعينيه) أظن لا مانع عندكم . النكت أولا ثم الشعر .

الجميع : لا مانع . . لا مانع

الشاعر : اسمعوا . أنا لن أروى لكم غير ثلاث نكت ثم ألقى عليكم الشعر . موافقون ؟

الجميع : موافقون . موافقون .

الشاعر : تريدون نكتا جديدة طبعا ؟

الجميع : طبعا . . طبعا .

الشاعر : أحس وحشى الياور — وهو يحاول الهرب — بالمطاردين من خلفه فاختبأ فى حظيرة غنم لبعض الفلاحين . فلما رأى المطاردين دخلوا الحظيرة اندس هو بين الغنم وأخذ يصيح : ماع . ماع . ماع . فجذبه أحدهم من أذنه قائلا : أهلا . أهلا . تعال يا خروف العيد . (يضحكون)

الشاعر : والآن عن القرداوى . لما أراد القرداوى الهرب ذهب إلى زوجته يودعها وقد تنكر فى ثياب قذرة

ممزقة ، فقالت له : ما هذا ؟ قال ياحليلتى هكذا ينبغى أن نتقشف أسوة بالشعب ! !

الشاعر : ولما أرادوا أن يشنقوه أحضروا له دكة ليقف عليها أمام المشنقة . فلما وقف عليها صاح فى الجمع : محكمة !

(يضحكون)

الشاعر : ولما تأرجح فى الهواء وثب أحد أفراد الشعب فقطع لسان المشنوق فقبضوا عليه ليعاقبوه على مخالفته النظام ، فصاح قائلا : ويلكم . أتتركونه يطلع لكم لسانه أيضا وهو يموت ؟

(يضحكون)

الشاعر : هأنذا رويت لكم أربع نكت فاستمعوا الآن إلى شعرى .

رجل ١ : كلا ، ارو لنا أولا نكتة عن الزعيم الأوحد .

الجميع : أجل نريد نكتة عن الزعيم الأوحد .

الشاعر : ثم بعدها الشعر ؟

الجميع : نعم .

الشاعر : هاكم عن الزعيم الأوحد . قبل قتله وتعليقه كان يمشى فى الديوانية متنكراً فى زى امرأة متحجبة ، فلاحقه أحدهم يسمعه بعض كلمات الغزل فلم يجب وبقى صامتا ، فظنه الرجل امرأة متصونة فقال :

دخيلك يا ستى أنا قصدى شريف . قصدى أن أتأهل . فما كان من الزعيم الأوحد إلا أن أجابه : سيدى لوجه الله أنا امرأة متزوجة !

(يضجون بالضحك)

الشاعر : والآن ياسادتى . جاء دور الشعر .

رجل ١ : كلا . أنك لم تأتنا بنكت . هذه حقائق وقعت بالفعل .

الشاعر : أجل . نكت واقعية . أليست خيرا من النكت المؤلفة ؟

رجل ١ : كلا . نحن نريد نكتا مؤلفة .

الجميع : أجل . نريد النكت المؤلفة .

الشاعر : ويلكم منذا يستطيع أن يؤلف اليوم نكتا من عقله ؟ قد صار الواقع كله نكتة !

(يضحكون)

رجل ١ : إذن فليس لك أن تطالبنا بسماع شعرك .

الشاعر : (غاضبا) بعد كل هذا التعب الذى تعبته ؟ . اتركونى إذن مع وحيي وإلهامى . لقد أضعتم وقتى بغير فائدة (يجلس)

(يتضاحك القوم ولكن الشاعر لا يبالى بهم وينكب على أوراقه يفكر ويكتب)

(يدخل رجل على هيئة شيوخ العشائر ومعه امرأة محجبة

على طريقه نساء العربان فيجلسان حول منضدة فى أدنى يسار المسرح . وقد قطع قدومهما صخب الرواد إذ أثار انتباههم وفضولهم إلى حين ، ثم عادوا إلى ما هم فيه وقد قلق قزمان لحضورهما وهو يمسح حذاء أحد الرواد ، إلا أنه لم يلبث أن اطمأن أيضا . وأخذ الرجل والمرأة يتهامسان) .

الرجل : ما رأيك ؟ هذا هو زوجك ؟

المرأة : نعم . لا شك عندى أنه هو .

(يصفق الرجل فيحضر عبد المؤمن)

الرجل : (هامسا) أنت صاحب المقهى ؟

عبد المؤمن : نعم يا شيخ العرب .

الرجل : هل تعرف ذلك الشخص الذى يمسح الحذاء هناك ؟

عبد المؤمن : (يتلعثم فى ارتياب) هذا .. هذا ..

الرجل : (يظهر له بطاقته خلسة) أنا رئيس أمن العاصمة . وأنا أبحث عن المساح الذى يدعى قزمان .

عبد المؤمن : هو هذا قزمان يا سيدى .

الرجل : اذهب وأحضر لنا الطلبات أولا .

عبد المؤمن : شاى يا سيدى ..

الرجل : (المرأة) شاى ؟

المرأة : كولا .

الرجل : شاى وكولا .

عبدالمؤمن : (يصيح) واحد شاى وواحد كولا . (يتوجه نحو البوفيه) .

المرأة : ألم أقل لك يا سيدى ؟ إنه هو .

الرجل : سنرى الآن . يجب أن نتأكد .

(يعود عبد المؤمن بالطلب)

الرجل : (هامسا) اسمع . إنى أريد أن أستدعيه ولكنى أخشى من الجماهير أن تتسامع بأمره فيحدث ما لا يحمد . فهل لك أن تغلق باب المقهى علينا ؟

عبد المؤمن : هل آمر الرواد بالانصراف ؟

الرجل : كلا . بل دعهم هنا معنا فلا ضرر من وجودهم .

عبد المؤمن : لكنهم سيحتجون يا سيدى .

الرجل : بعد أن تقفل الباب أعلمهم من أنا .

(يعود النزيل إلى التشكك والارتياب وتبدو منه حركة للهرب ولكن عبد المؤمن يغلق باب المقهى فيتظاهر النزيل بالثبات والاستقرار)

الشاعر : (محتجا) ما هذا ؟ أتخاف يا عبد المؤمن فى عهد الحرية والقومية العربية ؟

الجميع : أجل لماذا أغلقت علينا الباب ؟ افتح افتح !

عبد المؤمن : معذرة يا سادة . . هذا أمر من رئيس أمن العاصمة .

(يشير إلى الرجل فينظر الجميع إلى الرجل)

الرجل : أجل أنا رئيس أمن العاصمة . ابقوا فى أماكنكم . لاخوف عليكم. بس الزموا السكوت . (يسكت الجميع وينظرون إلى الرجل فى احترام)

الرجل : (ينادى) قزمان . . تعال ياقزمان . .
(يقبل النزيل وكأنه اطمأن قليلا لما سمع الرجل يناديه وإن كان لا يخلو من خوف وأخذ يتطلع إلى المرأة) .

الرجل : (ينهره) ياهذا . ألا تراعى حرمة السيدات ؟
(يخفض قزمان بصره) اجلس فامسح حذائى .
(يجلس قزمان أمامه وهو مرتبك)

الرجل : ما هذه العصابة على وجهك ؟

النزيل : ضربونى ياسيدى .

الرجل : من الذى ضربك ؟

النزيل : الشيوعيون ياسيدى . أفراد المقاومة الشعبية .

الرجل : لا تخادعنى . أنا رئيس الأمن العام ولا تجوز على حيلتك . هذه العصابة مزيفة وليس بك أى إصابة .

النزيل : (فى استخذاء) نعم ياسيدى هذا صحيح .

الرجل : فما حملك على هذا التفكر ؟

النزيل : سأصارحك ياسيدى بالحقيقة . إنى أشبه هذا الشقى الذى كانوا يدعونه الزعيم الأوحد ، فخشيت إذا رآنى الناس أن يقتلونى ظنا منهم أنى هو .

الرجل : ارفع العصابة من على وجهك .

النزيل : حاضر يا سيدى . (يرفع العصابة عن وجهه) .

الرجل : (متعجبا) سبحان القادر على كل شىء ! سبحان من لا شبيه له ! ولكن ألا يجوز أن تكون أنت الزعيم الأوحد نفسه ؟

النزيل : هذا محال يا سيدى . الزعيم الأوحد معلق على باب مبنى وزارة الدفاع .

الرجل : قد يكون ذلك المعلق هو قزمان .

النزيل : مستحيل يا سيدى . أنا قزمان .

الرجل : هل أنت متزوج ؟

النزيل : (بعد تردد) نعم يا سـيدى ، أنا متزوج وعندى أولاد .

الرجل : كم عددهم ؟

النزيل : (كأنما يقرأ من كتاب) نصف درزن غير الذين ماتوا وكلهم من صلبى !

(يتضاحك السامعون من الرواد) .

الرجل : (صائحا) أرجوكم أن تلزموا الهدوء .

(يسكتون)

الرجل : هل تعرف زوجتك إذا رأيتها ؟

النزيل : بالطبع يا سيدى .

الرجل : هل هذه زوجتك ؟

النزيل : البرقع يا سيدى .

الرجل : (للمرأة) اكشفى عن وجهك .

المرأة : هنا يا سيدى أمام الناس ؟

الرجل : لا بأس . اكشفى عن وجهك .

المرأة : (تكشف عن وجهها فى استحياء فينظر النزيل إليها وهو فى حيرة)

الرجل : تكلم . . . أهى زوجتك ؟

النزيل : (مترددا)

الرجل : تكلم . ألا تعرفها ؟

النزيل : لا يا سيدى . ليست هذه زوجتى .

(تنفجر المرأة ثائرة)

المرأة : قطع لسانك ! أتنكرنى بالعين ؟ يا صائع يا ضائع . أتتبرأ من امرأتك ؟

الرجل : اخفضى صوتك من فضلك .

المرأة : (فى ثورتها) معلوم ! ينكرنى لأنه عذبنى فى البيت الجديد الذى أسكنونا فيه ، وحبسنى وأولادى فى السرداب ليخلو له الجو ويسكر ويفجر مع الفتيات الخليعات ، هو وصاحبه الملعون ياور الزعيم الأوحد .

النزيل : معذرة يا سيدى . إن أردت الحق فهى امرأتى .

المرأة : الآن بعد ما أنكرتنى يا دون . يا عديم الأصل !

الرجل : ولماذا أنكرتها فى الأول ؟

النزيل : خشيت يا سيدى من العقوبة لأننى حقا عذبتها وحبستها هى وأولادها فى السرداب . ولكنى كنت والله مكرها على ذلك كما كنت مكرها على كل شىء . أخذونى يا سيدى من هذا المقهى وجعلونى شبيهـا للزعيم الأوحـد لحمايته من الاغتيال فى الحفلات العامة . قبح الله وجهى هذا فهو الذى جلب علىّ كل هذه المصائب .

الرجل : (يتوقف لحظة كأنه فى حيرة ثم يلتفت إلى المرأة) هل أنت متأكدة أنه هو زوجك ؟

المرأة : أتشك بعد يا سيدى وقد اعترف ؟ لا شك أنه هو . يجب أن تعاقبوه فقد صار سكيرا وفاجرا وزير نساء .

الرجل : (يومىء لعبد المؤمن فيدنو منه) هل أنت متأكد أن هذا قزمان ماسح الأحذية ؟

عبد المؤمن : بالطبع يا سيدى . إنه يمسح لرواد المقهى عندنا من عهد بعيد .

الرجل : هل فى الموجودين هنا من يعرفه ؟

عبد المؤمن : هذا القرندلى الشاعر يعرفه . (ينادى) يا قرندلى . يا قرندلى .

الشاعر : (الذى كان طول الوقت منكبا على أوراقه كأنه لا يشعر بما يجرى حوله يرفع رأسه) ويلك يا عبد المؤمن . ماذا تريد منى ؟ لا تشغلنى عن وحيي وإلهامى .

عبد المؤمن : رئيس أمن العاصمة يطلبك .

الشاعر : يطلبنى ؟ حبا وكرامة . (يرمى قلمه وأوراقه ويصلح رباط عنقه الكبير الأخضر ويتقدم نحو الرجل) أقدم إليك نفسى يا سيدى . أنا القرندلى شاعر القومية العربية .

الرجل : (فى سخرية خفية) أهلا . تشرفنا .

الشاعر : أوامرك يا سيدى ؟

الرجل : انظر إلى هذا الرجل . أتعرفه ؟

الشاعر : هذا قزمان ياسيدى . أعرفه من زمن طويل .

الرجل : متأكد أنه هو ؟

الشاعر : كيف لا ياسيدى وقــد كان يمسح لى حذائى كل يوم ؟

الرجل : تأمل فيه جيداً .

الشاعر : لعلكم تظنونه الزعيم الأوحد . هو حقا يشبهه تماما لكن الزعيم الأوحد ــ طال عمرك ــ معلق على باب وزارة الدفاع .

الرجل : تأمل فيه جيدا .

الشاعر : (ينظر إلى النزيل) الله يخيبك يا قزمان ! ألم تجد فى الدنيا الواسعة أحدا تشبهه غير هـذا الطاغية المخذول ؟ جاءك البلاء لقد جلبت لنفسك المتاعب . أم كنت تظن أنك إذا أشبهته يكون لك مقام وشأن؟ أيها الانتهازى ألا تعرف عاقبة الانتهازية ؟ أتظن عهد الظلم يبقى إلى الأبد ؟ ألم تسمع المثل السائر : دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ؟

(يغالب الجميع ضحكهم أثناء كلام الشاعر حتى إذا انتهى انفجروا ضاحكين) .

الرجل : (يغالب ضحكه) ألا تعرف أى علامة له تجزم بها أنه قزمان ؟

الشاعر : علامة ؟ هذا قزمان بغير شك .

الرجل : ألا تتذكر أى علامة ؟

الشاعر : نعم أتذكر يا سيدى : كان يذكرنى باسم شاعر سوفياتى دائما أنساه . (للنزيل) ما اسمه يا قزمان ؟ ما اسم ذلك الشاعر ؟

النزيل : (يحار فى السؤال لا يدرى بماذا يجيب)

الرجل : أجب عن سؤاله ؟

النزيل : نسيته ياسيدى .

الشاعر : نسيته ؟ خيبك الله ! الآن تنساه عند حاجتك إليه . ألا تعلم أن حياتك الآن معلقة على اسم ذلك الشاعر ؟

الرجل : اذكر اسمه أنت .

الشاعر : اسمه . . اسمه . الله يلعنه . دائما أنساه . (يقدح زناد فكره) على طرف لسانى . (يضع أصبعه حول فمه) اطلع ملعون . . اطلع . (ينط فرحا) مياكوفسكى ياسيدى . مياكوفسكى .

النزيل : نعم . مياكوفسكى . مياكوفسكى .

الرجل : (للنزيل) طيب اذكر لنا شيئا عن مياكوفسكى هذا .

الشاعر : لا يا سيدى . لا يعرف قزمان شيئا عنه . إنما سمع اسمه فقط منى . إن شئت حدثتك أنا عنه .

الرجل : (متضايقا من عدم وصوله إلى نتيجة) كلا . لا تفعل . لسنا بحاجة إليه . ويلك أضعت وقتنا بغير فائدة . ارجع إلى مكانك .

الشاعر : ربما أستطيع يا سيدى أن أفيدك .

الرجل : ارجع إلى مكانك .

الشاعر : هل لك يا سيدى أن تسمع مطلع القصيدة التى شرعت فى نظمها اليوم ؟

عارف أنت البطل عبد السلام الأجل
بك السلام ازدهى في أرضنا واكتمل
عهد الفساد انقضى وجاء عهد الأمل

الرجل : (ينهره) حسبك . حسبك . ارجع إلى مكانك .

الشاعر : (يحنى رأسه فى امتثال) شكرا يا سيدى . يكفينى على كل حال أنك استمعت إلى المطلع . وستطلع على القصيدة كاملة فى الجرائد .

(يعود إلى مكانه . يطرق الرجل قليلا كأنه فى حيرة ثم يلتفت إلى المرأة)

المرأة : لا أدرى علام كل هذا الشك فى هذا المنحوس المتعوس . إنه هو يا سيدى بلحمه وعظمه .

الرجل : رويدك . ألا تعرفين لزوجك علامة فى جسده ؟

المرأة : (فى شبه حياء) أعرف يا سيدى . . أنا امرأته . أعرف كل قطعة فى جسده ، ولكن . .

الرجل : أقصد علامة ظاهرة فى وجهه أو رأسه .

المرأة : (بعد صمت يسير كأنها تحاول أن تتذكر) نعم . أعرف علامة لا تنسى فى طرف أذنه اليسار . ندبا صغيرا يا سيدى من أثر عضة .

الرجل : من الذى عضه ؟

المرأة : أنا يا سيدى . آه يا ليتنى قطعتها ولم أبق منها بقية !

هذا نمرود من النماريد ما ينفع معه غير النعل ! !
(يرتعد النزيل وهو يتحسس طرف أذنه اليمين مرة والشمال مرة أخرى) .

الرجل : أرنى أذنك .

النزيل : (يدير له أذنه اليمنى) تفضل يا سيدى .

الرجل : (للمرأة) أنت قلت أذنه اليمين أم اليسار ؟

المرأة : اليسار .

النزيل : لكن العضة فى اليمين .

المرأة : أبدا فى اليسار .

النزيل : أقول لك اليمين .

المرأة : أقول لك اليسار .

النزيل : اليمين !

المرأة : اليسار !

النزيل : اليمين !

المرأة : اليسار !

الرجل : (يضرب المنضدة بيده فى يأس) بس ! كفاية ! (يسكتان) وجدنا العضة فى اليمين لا فى اليسار .

المرأة : (فى رعب وارتجاف) فى اليمين ؟ مستحيل يا سيدى .

الرجل : انظرى بنفسك .

المرأة : (تدنو من النزيل فى خوف فتفحص أذنه الشمال فتعروها رجفة) مستحيل ! مستحيل !

النزيل : (يريها أذنه اليمين) ها هى ذى عضتك .

المرأة : (تتراجع خائفة مذهولة) لا . لا . (ترتمى على مقعدها وتنفجر باكية)

الرجل : ما خطبك ؟ ماذا بك ؟

المرأة : (باكية) هـذا ليس قزمان . قزمان راح ! قزمان قتلوه ! وعلقوه ! يا حبيبى يا قزمان . لمن تترك امرأتك مسعودة ولمن تترك أولادك ؟
(تهرع نحوها خديجة وفاطمة فتحوطانها وتواسيانها)

الرجل : (يلقى القبض على النزيل ويدفعه) هلم !

النزيل : (يصيح) أنا قزمان ! أنا قزمان !

المرأة : (فى بكائها) قزمان راح ولن يعـود ! قتـلوه ! علقوه !

النزيل : (للمرأة) حرام عليك يا مسعودة . أنا قزمان زوجك وحبيبك !

المرأة : (فى غضب) اخرس يا وقح ! أنت قاتل زوجى . أنت قاتل الأمة . أنت أس النكبة . أنت الزعيم الأوحد !

خديجة : لا حول ولا قوة إلا بالله . تعالى معنا يا أختى ندخل جو البيت . (تسوقانها نحو الباب الأيسر) .

الرجل : (يرى رعاية المرأتين للمرأة فيطمئن عليها ويدفع النزيل فيخرج به من الباب الأيمن) هلم ! (لعبد المؤمن) افتح لنـا الباب .

عبد المؤمن : حاضر يا سيدى . (يفتح الباب) .

النزيل : (يصيح) مظلوم يا ناس . أنا قزمان ! أنا قزمان !

المرأة : (فى بكائهـا) يا عينى عليك يا قزمان ! يا حبيبى يا قزمان !

(تخرج خديجة وفاطمة بالمرأة من الباب الأيسر ويخرج الرجل بالنزيل من الباب الأيمن ويبقى الرواد قليلا فى دهش وحـيرة)

الشاعر : (ينظر إليهم) ألم أقل لـكم يا سادة إن الواقع كله انقلب إلى نـكتة ؟

(يراهم يبدءون فى الخروج خلف المقبوض عليه فيصيح) انتظروا يا قوم . سأسمعكم بقية القصيدة !

(لا يلتفت إليه أحد) .

ستار الختـــام

للمؤلف

١ – أخناتون ونفرتيتى
٢ – سلامة القس
٣ – وا اسلاماه
٤ – قصر الهودج
٥ – الفرعون الموعود
٦ – شيلوك الجديد
٧ – عودة الفردوس
٨ – روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
٩ – سر الحاكم بأمر الله
١٠ – ليلة النهر
١١ – السلسلة والغفران
١٢ – الثائر الأحمر
١٣ – الدكتور حازم
١٤ – أبو دلامة (مضحك الخليفة)
١٥ – مسمار جحا
١٦ – مسرح السياسة
١٧ – مأساة أوديب

١٨ ـ سر شهر زاد

١٩ ـ سيرة شجاع

٢٠ ـ شعب الله المختـــار

٢١ ـ أمبراطورية فى المزاد

٢٢ ـ الدنيا فوضى

٢٣ ـ أوزوريس

٢٤ ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية (محاضرات)

٢٥ ـ دار ابن لقمان

٢٦ ـ قطط وفيران .

٢٧ ـ اله اسرائيل

٢٨ ـ هاروت وماروت

٢٩ ـ الزعيم الأوحد

تحت الطبع

١ ـ جلفدان هانم

٢ ـ قاب قوسين